

كتب الفراشة - القِصص العالمية

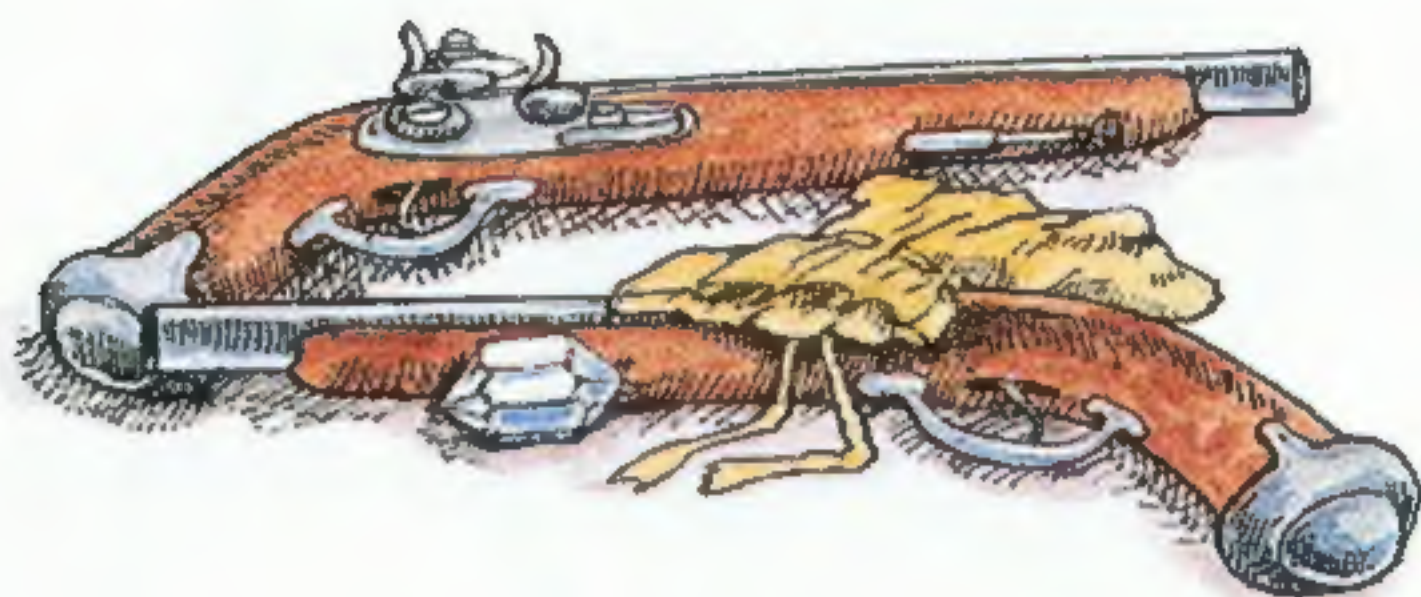


مونفليت



كتب الفراشة - القِصص العالمية

مُونَفليُّت



أعادَ حكايتها : الدكتور ألبير مُطَّلَق
عَن قِصَّة جُون مِيد فوكَنر



مَكْتَبَةُ لِبْنَات نَاشِرُونَ

مَكْتَبَةُ لَبْنَانَ نَاشِرُونَ ش.م.ل.

زقاق البلاط - ص.ب: ٩٢٣٣ - ١١

بَـيـرُوت - لَبْنَانَ

وُكَلَاءُ وَمُوزِعُونَ فِي جَمِيعِ أُنْحَاءِ الْعَالَمِ

© الْحَقُوقُ الْكَامِلَةُ مَحْفُوظَةٌ

لِمَكْتَبَةِ لَبْنَانَ نَاشِرُونَ ش.م.ل.

الطبعة الأولى ١٩٩٤

رقم الكتاب 01 C 196809

طُبِعَ فِي لَبْنَانَ



مقدمة

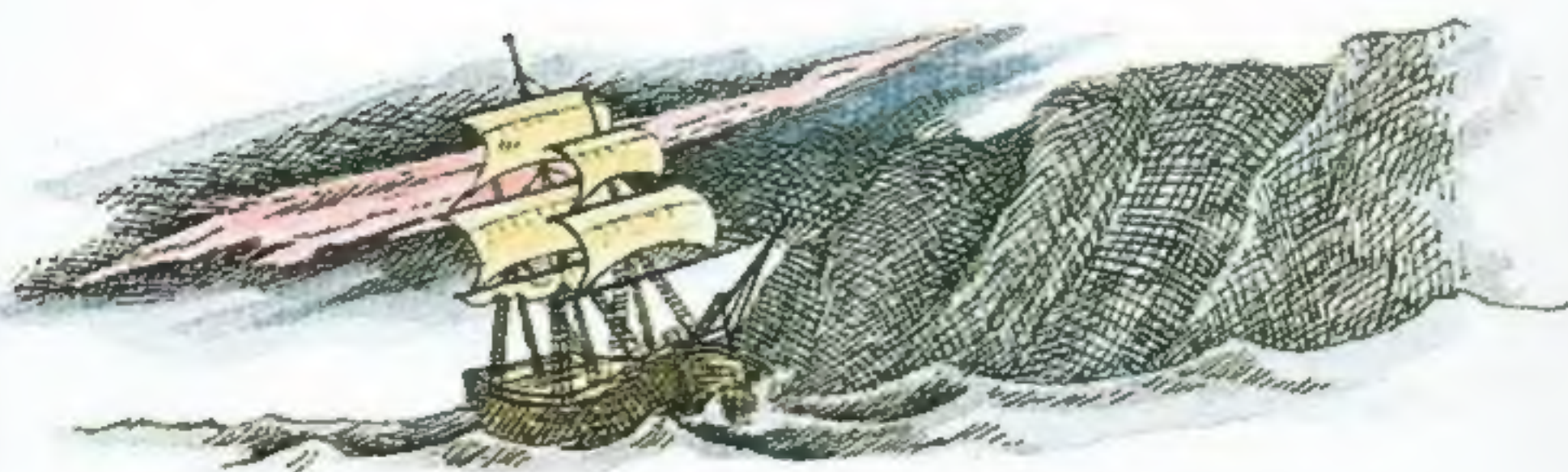
كَانَتْ عَمَلِيَّاتُ التَّهْرِيبِ نَشِيطَةً فِي إِنْكِلَتْرَا فِي الْقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ. وَكَانَ بَعْضُ سُكَّانِ الْمُدُنِ وَالْبَلَدَاتِ السَّاحِلِيَّةِ يَسْتَقْدِمُونَ، لَيْلًا، مِنْ أُوْرُوْبَا، الْقَوَارِبَ الْمُحْمَلَةَ بِالتَّبَعِ وَالْمَشْرُوبَاتِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبَضَائِعِ لِتَخْلُصَ مِنْ دَفْعِ الرُّسُومِ وَالضَّرَائِبِ. وَهَذِهِ الْعَمَلِيَّاتُ مُرَبِّحَةٌ، لَكِنَّهَا تَنْطَوِي عَلَى مَخَاطِرَ إِذْ إِنَّ رِجَالَ الْجَمَارِكِ وَالضَّرَائِبِ كَانُوا لِلْمُهَرِّبِينَ بِالْمِرْصَادِ لِيُوقِعُوا بِمَنْ يُقْبِضُ عَلَيْهِ أَشَدَّ الْعُقُوبَاتِ.

كَانَتْ مُعْظَمُ عَمَلِيَّاتِ التَّهْرِيبِ تَجْرِي عَلَى سَاحِلِ إِنْكِلَتْرَا الْجَنُوبِيِّ، حَيْثُ تَحْيَلُ فُوكْزِرَ قَرْيَةً «مُونْفِلِت» مَسْرَحًا لِأَحْدَاثِ هَذِهِ الرُّوَايَةِ. وَكَانَ بَعْضُ شَخْصِيَّاتِ الْقِصَّةِ مِنَ الْمُهَرِّبِينَ كَصَاحِبِ التُّرْلِ الزُّفِيرِ بُلُوكِ وَالْقَنْدَلَفَتِ رَانْسِي. وَحَتَّى بَطْلُ الرُّوَايَةِ جُونُ تَرُنْشَرْدُ وَجَدَ نَفْسَهُ مُتَوَرِّطًا بَعْدَ أَنْ اكْتَشَفَ بَضَائِعَ مُهَرَّبَةً مُخْبَأَةً فِي الْمَقْبَرَةِ تَحْتَ الْكَنِيسَةِ.

سَرَّعَانَ مَا تَتَّخِذُ الرُّوَايَةُ مَدًى أَوْسَعَ مِنْ قِصَّةِ التَّهْرِيبِ وَالْمُهَرِّبِينَ، فَبَيْنَمَا كَانَ جُونُ تَرُنْشَرْدُ فِي مَقْبَرَةِ الْكَنِيسَةِ، وَقَعَ عَلَى نَعْشِ الْكُولُونِيلِ جُونِ موهون المعروف بِذِي اللَّحْيَةِ السَّوْدَاءِ وَوَجَدَ عُلْبَةً صَغِيرَةً فِيهَا رُمُوزٌ تَتَعَلَّقُ بِمَكَانٍ وَجُودِ مَاسَةٍ ثَمِينَةٍ. فَتَحَوَّلَتِ الْأَحْدَاثُ إِلَى مُغَامَرَةٍ مُثِيرَةٍ يَقُومُ بِهَا جُونُ تَرُنْشَرْدُ وَالزُّفِيرِ بُلُوكِ لِلْبَحْثِ عَنْ

هذا الكثر ، وقد قادهما البحثُ إلى قلعة «كارسبروك» في جزيرة «وايت» ، ثم إلى هولندا ، ثم إلى مونفليت ثانية .

نالت رواية «مونفليت» رواجاً منذ أن نُشِرت عام ١٨٩٨ ، ففيها كلُّ عناصر التشويق من صراع بين أبطال شجعان وأشرار طامعين ، إلى حبكة روائية آسرة تتسارع فيها الأحداث فتحبس أنفاس القارئ وتستحجّه على متابعة القراءة ، ليُعرف مثلاً : كيف سيخرج جون ترنشرّد من المقبرة بعد أن سدّت المنافذ ؟ وهل سينجو جون والرّفير من الجنود الذين يلاحقونهما ؟ وكيف ستنتهي كارثة تحطم السفينة ؟ وهناك أسئلة كثيرة مُحيرة كهذه . كلُّ ذلك يجعل «مونفليت» رواية يصعبُ على القارئ التوقّف عن قراءتها قبل الوصول إلى خاتمتها .



مُونَفْلِيَت

تَقَعُ قَرْيَةُ مُونَفْلِيَتِ عَلَى ضَفَّةِ نَهْرِ فُلَيْتِ الْغَرْبِيَّةِ وَعَلَى بُعْدِ نِصْفِ مِيلٍ مِنَ الْبَحْرِ.

عِنْدَمَا بَدَأْتُ أَحْدَاثُ هَذِهِ الْقِصَّةِ فِي الْعَامِ ١٧٥٧ كُنْتُ ، أَنَا جُون تَرُنْشَرْدُ ، فِي الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِي . كُنْتُ يَتِيمًا أَعِيشُ مَعَ خَالَتِي فِي قَرْيَةِ مُونَفْلِيَتِ . وَكَانَتْ خَالَتِي امْرَأَةً صَارِمَةً تَوَلَّتْ أَمْرَ تَرْبِيَّتِي لَا عَنْ مَحَبَّةٍ بَلْ إِنْحِسَاسًا مِنْهَا بِالْوَاجِبِ . وَبِذَا يَتِيمُهَا لِوَلَدٍ بِأَفْعٍ مَكَانًا كَثِيرًا .

كُنْتُ أَتَجَوَّلُ ذَاتَ مَسَاءٍ فِي شَوَارِعِ الْقَرْيَةِ وَسَطَ صَمْتٍ وَسُكُونٍ ، إِلَّا صَوْتُ مِطْرَقَةٍ يَتَرَدَّدُ صَدَاهُ مِنْ حَوْلِي . اقْتَرَبْتُ مِنْ مَصْدَرِ الصَّوْتِ ، فَرَأَيْتُ السَّيِّدَ رَانْسِي ، مُدَبِّرَ الْمَعْبَدِ ، يَنْقُشُ عَلَى شَاهِدِ قَبْرِ جَدِيدٍ بِضَعِ كَلِمَاتٍ . سَأَلَنِي الْمُدَبِّرُ أَنْ أَرْفَعَ لَهُ الْقِنْدِيلَ ، فَكَشَفَ الضُّوءُ كَلِمَاتِ الشَّاهِدِ ، وَكَانَتْ :

فِي ذِكْرِ جِيْمَسِ بُلُوكِ

الَّذِي قُتِلَ بِتَارِيخِ ٢١ حَزِيرَانَ (يُونِيَّة) ١٧٥٧
عَنْ ١٥ عَامًا



كَانَ جِيْمُسُ بُلُوكَ الْاِبْنَ الْوَحِيْدَ لِأَلْزَفِيرِ بُلُوكَ ، صَاحِبِ نَزْلِ «الْوَابِنَط» .
وَكَانَتْ الْقَرْيَةُ قَدْ صُعِقَتْ لِمَصْرَعِ الْفَتَى . فَقَدْ أَطْلَقَ حَاكِمُ قَضَاءِ مُونْفَلِيْتِ ،
السَّيِّدُ مَاسْكِيُو ، النَّارَ عَلَيْهِ ، فَأَرْدَاهُ قَتِيْلًا . حَدَثَ ذَلِكَ فِي أَثْنَاءِ اعْتِقَالِ جَمَاعَةٍ
مِنَ الْمُهَرَّبِيْنَ الْمَحْكِيْنَ فِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي حَزِيرَانَ (يُونِيَّة) .

وَكَانَ أَنْ اقْتِيدَ الْمُهَرَّبُونَ فِي شَوَارِعِ الْقَرْيَةِ مُصَفَّدِينَ بِالْحَدِيدِ ، وَسَطَ
حُزْنِ السُّكَّانِ . لَقَدْ كَانَ الْمُعْتَقَلُونَ مِنَ الْقَرْيَةِ نَفْسِهَا ، وَكَانَ مَصِيرُهُمْ فِي الْغَالِبِ
الشَّقَّ .

أَنْهَى الْمُدَبِّرُ رَأْسِي عَمَلَهُ عَلَى شَاهِدِ الْقَبْرِ ، وَقَالَ : «إِنْ إِطْلَاقَ النَّارِ
عَلَى وَلَدِ أَمْرٍ فَطِيعٌ شَنِيعٌ» . وَالْآنَ يَا بُنَيَّ ، تَعَالَ مَعِيَ إِلَى نَزْلِ الْوَابِنَطِ فَإِنَّ أَلْزَفِيرَ
بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يُعَزِّيهِ .

تِلْكَ الدَّعْوَةُ إِلَى مَكَانٍ لَا يَزُورُهُ إِلَّا الرَّاشِدُونَ أَدْخَلَتْ الزَّهْوَ إِلَى نَفْسِي .
وَمَشَيْتُ مَعَ رَأْسِي جَنَبًا إِلَى جَنَبٍ .

خَفَّ تَرَدُّدُ النَّاسِ عَلَى النَّزْلِ ، بَعْدَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي جَاءُوا بِهَا بِجُنَّةِ جِيْمُسِ
بُلُوكَ إِلَى مَنْزِلِ أَبِيهِ ، وَسَجَّوهُ عَلَى طَاوِلَةٍ هُنَاكَ .

كَانَ أَلْزَفِيرُ بُلُوكَ فِي الْخَمْسِينَ مِنْ عُمُرِهِ ، وَذَا قُوَّةٍ بَدَنِيَّةٍ خَارِقَةٍ . وَعُرِفَ
عَنْهُ ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَجَهُّمِهِ الدَّائِمِ وَمِثْلِهِ إِلَى الْإِنْطِوَاءِ ، حُبُّهُ لِلنَّاسِ . غَيْرَ أَنَّ
مَصْرَعَهُ أَيْنُهُ زَادَهُ عَزْلَةً وَانْطِوَاءً .

أَوْضَحَ رَأْسِي لِصَدِيقِهِ أَلْزَفِيرِ أَنَّي سَاعَدْتُ فِي الْعَمَلِ عَلَى شَاهِدِ قَبْرِ
جِيْمُسِ ، فَكَانَ أَنْ رَحَّبَ بِي الْوَالِدُ الْمَفْجُوعُ . ثُمَّ قَالَ :



«جيمس يرقُد الآن بِسَلامٍ. إِنَّا أَوْلَيْكَ الَّذِينَ أَنَّهُوَا حَيَاتُهُ لَنْ يَرْقُدُوا
بِسَلامٍ حِينَ تَحِينَ سَاعَتُهُمْ. وَلَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يَبْعِدُ.»

كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ يَغْنِي السَّيِّدَ مَاسْكِيو.

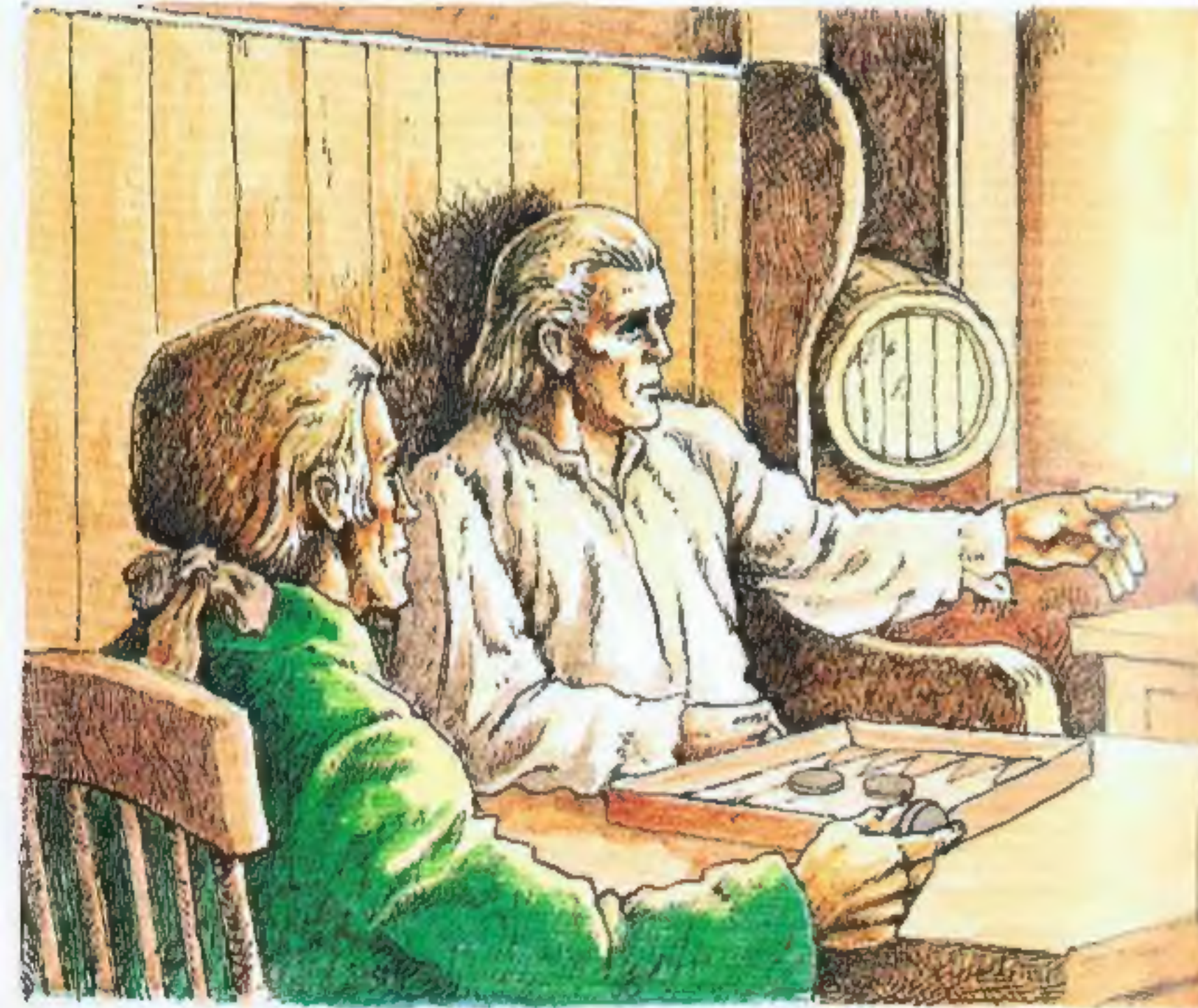
جَلَسْتُ مَعَ الرَّجُلَيْنِ طَوِيلًا ، إِلَى أَنْ بَدَأَ لِي أَنَّ التَّرْقِيرَ يَرْغَبُ فِي
التَّخْلُصِ مِنِّي. قَالَ :

«أَيُّهَا الْفَتَى ، حَانَ وَقْتُ الْعُودَةِ إِلَى الْبَيْتِ. يُقَالُ إِنَّ ذَا اللَّحْيَةِ السَّوْدَاءِ
يَتَرَدَّدُ عَلَى شَوَارِعِ الْقَرْيَةِ فِي لَيَالِي الشِّتَاءِ الْأُولَى. بَلْ إِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ رَأَاهُ فِعْلًا
فِي الطَّرِيقِ نَفْسَهَا الَّتِي تَسْلُكُهَا أَنْتَ إِلَى بَيْتِكَ.»

فَهَمْتُ مَا يُرِيدُ مِنِّي ، فَتَرَكْتُ الْمَكَانَ وَأَنْطَلَقْتُ سَرِيعًا. عَلَى الرَّغْمِ مِنْ
أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَخْشَى مُلَاقَاةَ ذِي اللَّحْيَةِ السَّوْدَاءِ فِي أَيِّ مَكَانٍ ، إِلَّا حَوْلَ
الْمَقْبَرَةِ.

كَانَ ذُو اللَّحْيَةِ السَّوْدَاءِ ، وَهُوَ مِنْ أُسْرَةِ الْمُوْهُونِ ، قَدْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ
الْوَقْتِ بِقَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ. وَكَانَ يُقَالُ إِنَّ شَبَحَهُ يَتَرَدَّدُ عَلَى مَدْفَنِ الْعَائِلَةِ فِي
بَعْضِ لَيَالِي الشِّتَاءِ ، وَإِنَّ عَلَى الْمَرْءِ إِذَا التَّقَى بِهِ أَنْ يَتَجَنَّبَ نَظْرَةَ عَيْنَيْهِ
الشَّرِيرَتَيْنِ ، وَإِلَّا حَدَثَ فِي ذَلِكَ الْعَامِ مَوْتُ فِي الْقَرْيَةِ.

رَوَى لِي الْكَاهِنُ غُلْبِي قِصَّةَ ذِي اللَّحْيَةِ السَّوْدَاءِ الْحَقِيقِيَّةِ. تَقُولُ الْقِصَّةُ





وَكُنْتُ أَنَا أترددُ على المقبرة نهارًا ، لِأَنَّ مَشْهَدَ الْبَحْرِ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ مُشِيرٌ . غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَجْرُو عَلَى الذَّهَابِ إِلَى هُنَاكَ لَيْلًا . وَحَدَّثَ أَنَّ رَأَيْتُ فِي إِحْدَى اللَّيَالِي ضَوْءًا يَتَحَرَّكُ فِي الْمَقْبَرَةِ . وَكُنْتُ سَاعَتِيذِ أَجْتَازُ مَمَرًا جَانِبِيَا مُخْتَصِرًا ، فِي طَرِيقِي لِاسْتِدْعَاءِ الطَّيِّبِ لِخَالَتِي .

بَعْدَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ بِأَيَّامٍ هَبَّتْ عاصِفَةٌ هَوَّجَاءُ عَاتِيَةً ، لَمْ أَعْرِفْ فِي حَيَاتِي مِثْلَهَا . بَلَغَتْ الْعاصِفَةُ أَوْجَهَا فِي الْخَامِسَةِ صَبَاحًا ، وَنَجَّ عَنْهَا دَمَارٌ شَدِيدٌ . وَرَاقَتْ ذَلِكَ ارْتِفَاعُ مِيَاهِ الْمَدِّ الرَّيْبِيِّ . فَنَشَأَ عَنِ الْأَمْرَيْنِ أَنَّ غَطَّتْ مِيَاهُ الْفَيْضَانِ أَرْضَ الْقَرْيَةِ كُلَّهَا ، بِمَا فِي ذَلِكَ الْمَقْبَرَةِ . غَيْرَ أَنَّ الْمَعْبَدَ الْمُجَاوِرَ ظَلَّ بِمَنْأَى عَنِ الْمِيَاهِ لِأَنَّهُ كَانَ قَائِمًا فَوْقَ أَعْلَى نُقْطَةٍ مِنَ الْأَرْضِ ، فَظَلَّ بَارِزًا وَكَأَنَّهُ جَزِيرَةٌ فِي بَحْرِ .

لَمْ يَخْضُرِ الصَّلَاةَ يَوْمَ الْأَحَدِ إِلَّا قَلَّةٌ مِنَ الْقَرَوِيِّينَ . لَكِنَّ الَّذِي فَاجَأَ النَّاسَ ، أَنَّ الزُّقْفَرِ الَّذِي نَادِرًا مَا كَانَ يَأْتِي إِلَى الصَّلَاةِ ، كَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَاحِدًا مِنْ تِلْكَ الْقَلَّةِ مِنَ الْمُصَلِّينَ .



إِنَّ الْكُولُونِيلَ جُون موهون كَانَ أَحَدَ الَّذِينَ ثَارُوا عَلَى الْمَلِكِ تشارلز الأول ، وَإِنَّ الْمَلِكَ حُيْسَ فِي قَلْعَةٍ جَزِيرَةٍ وَابِتِ الَّتِي كَانَتْ آنَ ذَاكَ بِأَمْرِ الْكُولُونِيلِ موهون نَفْسِهِ . وَقَدْ عَرَضَ الْمَلِكُ عَلَى سَجَانِهِ أَنْ يُسَهِّلَ لَهُ الْفِرَارَ ، لِقَاءَ مَاسَةٍ ضَخْمَةٍ . أَخَذَ موهون الماسة ، لَكِنَّهُ عَادَ فَأَلْقَى الْقَبْضَ عَلَى الْمَلِكِ .

عَلَى أَنَّ عَمَلَةَ الْكُولُونِيلِ الشَّرِيرَةَ لَمْ تُشِيرْ ، فَلَقْدَ أُثِيرَتْ حَوْلَهُ الشُّكُوكُ وَغُرِلَ مِنْ مَنْصِبِهِ وَعَاشَ بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ الْبَائِسَةَ فِي عَزْلَةٍ . وَكَانَ يُقَالُ إِنَّ رُوحَهُ لَمْ تَجِدِ السَّلَامَ بَعْدَ الْمَوْتِ ، ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ خَبَأَ الْكَتَرُ الَّذِي أَخَذَهُ مِنَ الْمَلِكِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجْرُو عَلَى اسْتِعَادَتِهِ ، وَمَاتَ سِرًّا مَكَانَ الْكَتَرِ بِمَوْتِ صَاحِبِهِ .



تَرَدَّدَتْ فِي آذَانِ الْمُصَلِّينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَصْوَاتٌ غَرِيبَةٌ جَوْفَاءُ كَأَنَّهَا
تَأْتِيهِمْ مِنْ جِهَةٍ مَدْفَنٍ آلِ مُوهُونَ . بَدَتْ تِلْكَ الْأَصْوَاتُ لِي وَكَأَنَّهَا زَوَارِقُ فِي
الْبَحْرِ يَصْدُرُ مِنْهَا نَغْصًا .

وَقَدْ دَبَّ الذُّعْرُ فِي مُعْظَمِ الْمُصَلِّينَ فَفَرَوْا . وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْكَاهِنُ
وَالْمُدَبِّرُ رَأْسِي وَالزَّفِيرُ بُلُوكِ وَأَنَا . أَنْهَى الْكَاهِنُ الصَّلَاةَ . ثُمَّ ذَكَرَ لِي أَنَّ
الْأَصْوَاتَ لَا بُدَّ نَاجِمَةٍ عَنِ النُّعُوشِ الَّتِي عَامَتْ فَوْقَ مِيَاهِ الْفَيْضَانِ وَرَاحَتْ
تَتَصَادَمُ . وَبَدَا لِي ذَلِكَ وَحْدَهُ كَافِيًا لِإِثَارَةِ الذُّعْرِ فِي نَفْسِي .

حَدَّثَنِي الْكَاهِنُ . بَعْدَ ذَهَابِ رَأْسِي وَالزَّفِيرِ . بِأَخْبَارٍ أُخْرَى عَنْ ذِي
اللَّحْيَةِ السُّودَاءِ . أَوِ الْكُولُونِيلِ مُوهُونَ . فَإِنَّهُ كَانَ أَوَّلَ وَاحِدٍ مِنَ الْمُوهُونِ يُخَالِفُ
تَقَالِيدَ تِلْكَ الْعَائِلَةِ . كَمَا إِنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَهْمَلَ مُمْتَلَكَاتِ عَائِلَتِهِ وَتَرَكَهَا لِيَدِبِّ
فِيهِ الْخَرَابُ . بِمَا فِي ذَلِكَ مَأْوَى الْفُقَرَاءِ الَّذِي دَأَبَتِ الْعَائِلَةُ عَلَى إِبْقَائِهِ
مَفْتُوحًا . بَلْ إِنَّهُ قَتَلَ . يَوْمًا . خَدِيمًا بَرِيئًا كَانَ شَاهِدًا عَلَى سِرٍّ مِنْ أَسْرَارِهِ الْخَبِيثَةِ .

رَغِبَ الْكُولُونِيلُ مُوهُونَ فِي أَوَاخِرِ حَيَاتِهِ الْبَائِسَةِ الضَّالِمَةِ أَنْ يُكْفَرَ عَنْ
ذُنُوبِهِ فَيُصْلِحَ مَأْوَى الْفُقَرَاءِ وَيَعِيشَ حَيَاةً مُسْتَقِيمَةً . وَأَوْصَى أَنْ تُسْتَخْدَمَ الْمَاسَةُ
الَّتِي أَحْذَاهُ مِنَ الْمَلِكِ فِي هَذَا السَّبِيلِ . لَكِنَّ الْمَيَّةَ عَاجَلَتْهُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَرْجِعَ
الْمَاسَةَ . وَقَبْلَ أَنْ يَكْشِفَ عَنْ سِرِّ مَكِيدِهَا .

لَكِنَّ هَذِهِ الْأَخْبَارَ لَمْ تُخَفَّفْ مِنْ ذُعْرِي . فَقَدْ كُنْتُ لَا أَزَالُ أَجِدُ فِي
تَصَادُمِ النُّعُوشِ الْعَائِمَةِ . وَنَعَشِ الْكُولُونِيلِ مِنْ بَيْنِهَا . أَمْرًا مُرْعِبًا . وَكُنْتُ فِي
حَيْرَةٍ أَيْضًا . أَسْأَلُ كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ تُصْدِرَ النُّعُوشُ الْمُهْتَرِةُ مِثْلَ تِلْكَ
الْأَصْوَاتِ الْقَوِيَّةِ الْحَادَّةِ .

عُدْتُ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ إِلَى الْمَقْبَرَةِ . مَدْفُوعًا بِفُضُولِي لِاسْتِكْشَافِ مَا إِذَا
كَانَ مَوْتِي الْمَوْهُونِ لَا يَزَالُونَ يَتَصَادَمُونَ . وَفَجَأَنِي أَنَّ أَحَدَ الزَّفِيرِ وَرَأْسِي قَدْ
سَبَقَانِي إِلَى هُنَاكَ وَكَانَ رَأْسِي يَضَعُ أُذُنَهُ عَلَى جِدَارِ الْمَقْبَرَةِ .

حَيَّتُهُمَا . فَلْتَفَتَ إِلَيَّ رَأْسِي . وَقَدْ بَدَأَ عَلَيْهِ الْإِرْتِيَاكُ . وَقَالَ لِي بِشَيْءٍ
مِنَ التَّرَدُّدِ إِنَّهُ جَاءَ لِيَفْحَصَ جِدَارَ الْمَقْبَرَةِ بَعْدَ الْفَيْضَانِ لِيَعْرِفَ مَا إِذَا كَانَ
يَحْتَاجُ إِلَى إِصْلَاحٍ . ثُمَّ طَلَبَ مِنِّي أَنْ أَعُودَ إِلَى الْقَرْيَةِ وَأَجُتِبَ لَهُ بَعْضُ
مُعَدَّاتِ الْإِصْلَاحِ .

لَمْ يَغِبْ عَنِّي بَالِي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُرِيدُ إِلَّا إِبْعَادِي . وَقَدْ رَأَيْتُ عَيْنِي الزَّفِيرَ
تَتَأَلَّقَانِ إِعْجَابًا بِسُحْبَةِ أَنِّي لَمَقَّهَا صَاحِبُهُ .

وَذَهَبْتُ فِي الْأَحَدِ التَّالِيِ إِلَى الصَّلَاةِ . فَمِ يَكُنْ الزَّفِيرُ هُنَاكَ . وَلَمْ أَسْمَعْ
صَوْتَ الْمَوْهُونِ يَتَحَرَّكُونَ .

وَحَدَّثَ أَنِّي نَقِيتُ أَسَابِيعَ بَعْدَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ أَزُورَ الْمَقْبَرَةَ . ثُمَّ زُرْتُهَا
مَرَّةً . وَجَلَسْتُ عَلَى شَاهِدِ قَبْرِ مُنْشِطِ قُرْبِ الْجِدَارِ عُنْدْتُ أَنْ أَجْلِسَ عَلَيْهِ .
وَكَانَ الْمَكَانُ مُحَاطًا بِأَشْجَارِ الطَّقُوسِ مِنْ جِهَاتِهِ الثَّلَاثِ . أَخَذْتُ مِنْ
الْجِهَةِ الرَّابِعَةِ أَرَاقِبُ السَّحَرِ عَلَيَّ أَرَى سَفِينَةً حَرَبِيَّةً فَرَنْسِيَّةً . إِذَا كَانَتْ فَرَنْسَا
وَبَنَكِلْتَا آتَاكَ فِي حَرْبٍ .

وَعَلَى الرُّغْمِ أَنَّ كُنَّا فِي شَهْرِ شَطْ (فِرَاير) فَقَدْ كَانَ الطَّقُوسُ دَافِقًا .
وَكَانَتْ مِيَاهُ الْفَيْضَانِ قَدْ جَفَّتْ نَهْمًا . وَتَخَلَّفَ عَنِ ذَلِكَ شُقُوقٌ فِي الْأَرْضِ فِي
مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ مَوْثَلِيَّتِ .

وَبَحَوِّ السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ سَمِعْتُ فَجَاءَةً قَرْقَعَةً وَأَصْوَاتَ تَشَقُّقٍ ، فَأُصِيبْتُ
بذُعْرٍ شَدِيدٍ . قَفَزْتُ مِنْ مَكَانِي ، وَنَظَرْتُ حَوْلِي فَرَأَيْتُ فِي جَانِبِ الْقَرْيَةِ الَّذِي
أَجْلَسْتُ عَلَيْهِ فَتْحَةً بِاتِّسَاعٍ قَدَمٍ وَاحِدَةٍ .

إِنْحَنَيْتُ وَنَظَرْتُ فِي الْفُتْحَةِ ، فَلَا حَظُّتُ أَنَّهَا تَتَّصِلُ بِتَجْوِيفٍ وَاسِعٍ .
حَشَرْتُ نَفْسِي وَنَزَلْتُ فِي التَّجْوِيفِ فَوَجَدْتُ نَفْسِي فِي مَمَرٍ يَتَّجِهُهُ صَوْبَ
الْمَعْبَدِ . مَشَيْتُ فِي الْمَمَرِ مَسَافَةً قَصِيرَةً . ثُمَّ ارْتَدَدْتُ مَذْعُورًا مِنْ شِدَّةِ
الظَّلَامِ . لَكِنِّي كُنْتُ قَدْ عَقَدْتُ الْعَزْمَ عَلَى الْعُودَةِ وَمَعِيَ قَدَاحَةٌ وَشَمْعَةٌ .





إِطْلَقْتُ عَمَّ الْمَرْحِ مُنْهِيًا ، وَصُورَةَ ذِي اللَّحْيَةِ السَّوْدَاءِ لَا تُفَارِقُ
مُحِبَّتِي . وَعِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى الْمَقْرَةِ ، وَقَفْتُ لَحْظَةً أَنْظُرُ إِلَى الْبَحْرِ فَرَأَيْتُ
إِشَارَةً صَوْتِيَّةً رَرَقَاءَ تَطْلُقُ مِنْ مَرَكَبٍ كَانَ رَاسِيًا هُنَاكَ . أَذْرَكْتُ أَنَّ مَرَكَبًا
لِلْمُهَرِّينَ يُزِيلُ إِشَارَاتِهِ إِلَى الشَّاطِئِ .

إِسْتَحْمَعْتُ شِدَاعَتِي وَرَلْتُ فِي فَتْحَةِ الْقَبْرِ ، وَمَشَيْتُ فِي الْمَمَرِ عَلَى
ضَوْءِ الشَّمْعَةِ ، فَإِذَا هُوَ نَحْوُ الْعِشْرِينَ مِثْرًا طَوِيلًا . وَلَمْ أَقْطَعْ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ عَنْ
التَّفَكُّيرِ فِي كَثَرِ ذِي اللَّحْيَةِ السَّوْدَاءِ ، أَمِلًا أَنْ أُعْثِرَ ، فِي جَوْلَتِي الْإِسْتِكْشَافِيَّةِ
تِلْكَ ، عَلَى مَكَانٍ إِخْفَانِهِ .

كُنْتُ قَدْ تَأَخَّرْتُ عَنْ مَوْعِدِ الطَّعَامِ ، مِمَّا أَثَارَ غَيْظَ حَالَتِي . وَمَعْنِي
خَالَتِي مِنْ مُغَادَرَةِ الْمَنْزِلِ مَسَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَرَغِمَتْ أَيْ أَنْصَرِفُ مِنْ
دُونِ وَعْيٍ أَوْ ضَوَابِطِ .

عَلَى أَيِّ حَالٍ فَإِنِّي أَنْتَظَرْتُهَا حَتَّى نَامْتُ ، وَقَفْتُ إِلَى الْمَطْبَخِ . أَحْدَثُ
قِدَاحَةً وَشَمْعَةً ، وَتَسَلَّلْتُ خَارِجَ الْبَيْتِ ، وَقَدْ عَقَدْتُ الْعَرْمَ عَلَى اسْتِكْشَافِ
الْمَمَرِ لِسُرِّي فِي قَبْرِ الْمَقْرَةِ .

مَرَرْتُ فِي طَرِيقِي نَزْلَ الْوَابِطِ . وَفَاجَأَنِي أَنَّ ضَوْئًا كَانَ لَا يَزَالُ فِي
بَيْتِ السَّاعَةِ لَمْتًا حَرَّةً مِنَ اللَّيْلِ يَسْعُ مِنْهُ ، وَأَنَّ أَصْوَاتَ كَأَنَّ تَرَدَّدًا دَاحِلَةً .

رَأَيْتُ أَنَّ الْمَكَانَ الْوَحِيدَ الَّذِي يُمَكِّنُنِي الْإِحْتِيَاءَ فِيهِ هُوَ الْمُسْتَحَقَّةُ الضَّيِّقَةُ
وَرَاءَ النَّعْشِ الضَّخْمِ فِي الرَّفِّ الْأَعْلَى.

فَقَرَرْتُ قِمْرَةَ مَذْعُورٍ كِدْتُ مَعَهَا أَقْعُ أَرْضًا ، وَرَمَيْتُ نَفْسِي وَرَاءَ النَّعْشِ
فِي اللَّحْطَةِ الَّتِي أَخَذْتُ فِيهَا مَسَاعِلُ الرِّجَالِ تُضِيءُ مَدْخَلَ الْقَاعَةِ.

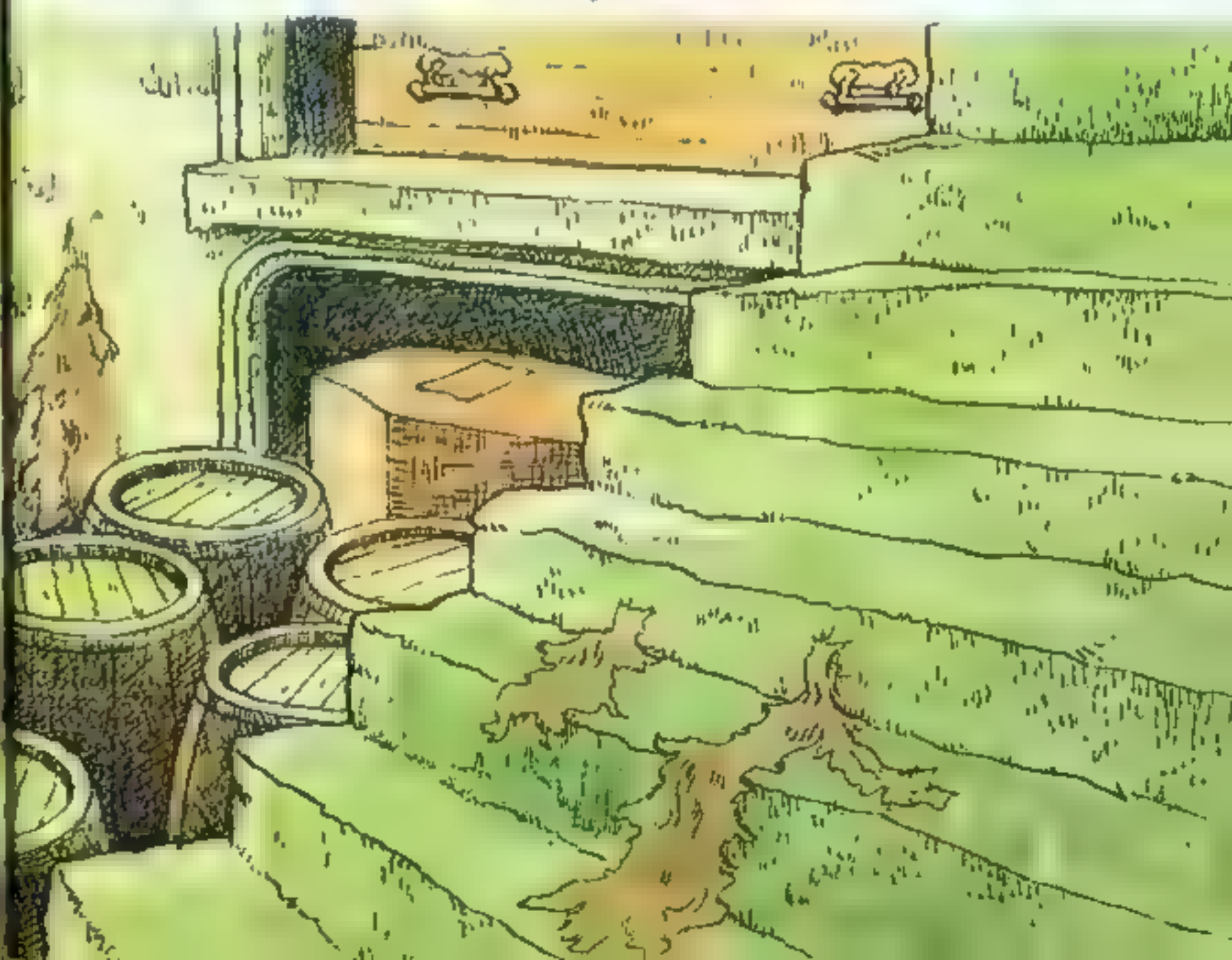
رَأَيْتُ رِجَالًا يَدْخُلُونَ ، وَهُمْ يَحْمِلُونَ صَنَادِيقَ وَبَرَامِيلَ . ثُمَّ فُوجِئْتُ
بَصَوْتِ رَانْسِي يَشْرَحُ لِلرِّجَالِ كَيْفَ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْضِيَ خَتَمَ الْمَمَرِ وَيُعِيدَهُ
إِلَى حَالِهِ دُونَ أَنْ يُثِيرَ الشُّبُهَاتِ.



إِنْفَتَحَ الْمَمَرُ أَخِيرًا عَلَى قَاعَةٍ وَاسِعَةٍ ، جُذُرَانِهَا وَسَقْفُهَا مِنَ الْحَجَرِ ، وَفِي
إِحْدَى زَوَايَاهَا دَرَجٌ يَنْتَهِي بِفَتْحَةٍ فِي السَّقْفِ مُعْطَاةٍ بِحَجَرٍ مُبْسِطٍ ضَخْمٍ .
وَعَلَى حَوَائِبِ الْغُرْفَةِ رُفُوفٌ رُفِعَتْ عَلَيْهَا نَعُوشٌ كَثِيرَةٌ .

أَذْرَكْتُ أَنِّي دَخَلْتُ مَدْفَنَ الْمُوْهُونِ . وَلَا حَظَّتْ أَنَّ مِيَاهَ الْفَيْضَانِ كَانَتْ
فِعْلًا قَدْ مَلَأَتْ الْقَاعَةَ ، وَتَرَكَتْ وَرَاءَهَا آثَارًا . لَكِنِّي لَاحَظْتُ أَيْضًا أَنَّ
الْأَصْوَاتَ الْمُزَعِجَةَ الَّتِي سَمِعْتُهَا لَمْ تَكُنْ صَادِرَةً عَنْ تَصَادُمِ النُّعُوشِ ، بَلْ عَنْ
تَصَادُمِ صَنَادِيقِ وَبَرَامِيلِ رَأَيْتُهَا مُكَوَّمَةً فِي وَسْطِ الْقَاعَةِ . كَانَ وَاضِحًا أَنِّي
دَخَلْتُ الْمَكَانَ الَّذِي يُخْبِئُ فِيهِ الْمُهَرَّبُونَ بِضَائِعِهِمْ .

عَلَى أَنَّ اهْتِمَامِي كَانَ مُنْصَبًّا عَلَى الثُّغُورِ عَلَى كَنْزِ دِي اللَّحْيَةِ السَّوْدَاءِ .
فَرَحْتُ أَتَفَحَّصُ الْحُدُرَانَ . وَبَعْدَ قَلِيلٍ سَمِعْتُ أَصْوَاتَ رِجَالٍ يَقْتَرِبُونَ .



وخرى الحديث ، ثم جاءني صوت الرقيب وهو يصرخ أنه سينتقم من
ماسكيو ، قاتل ابنه جيمس .

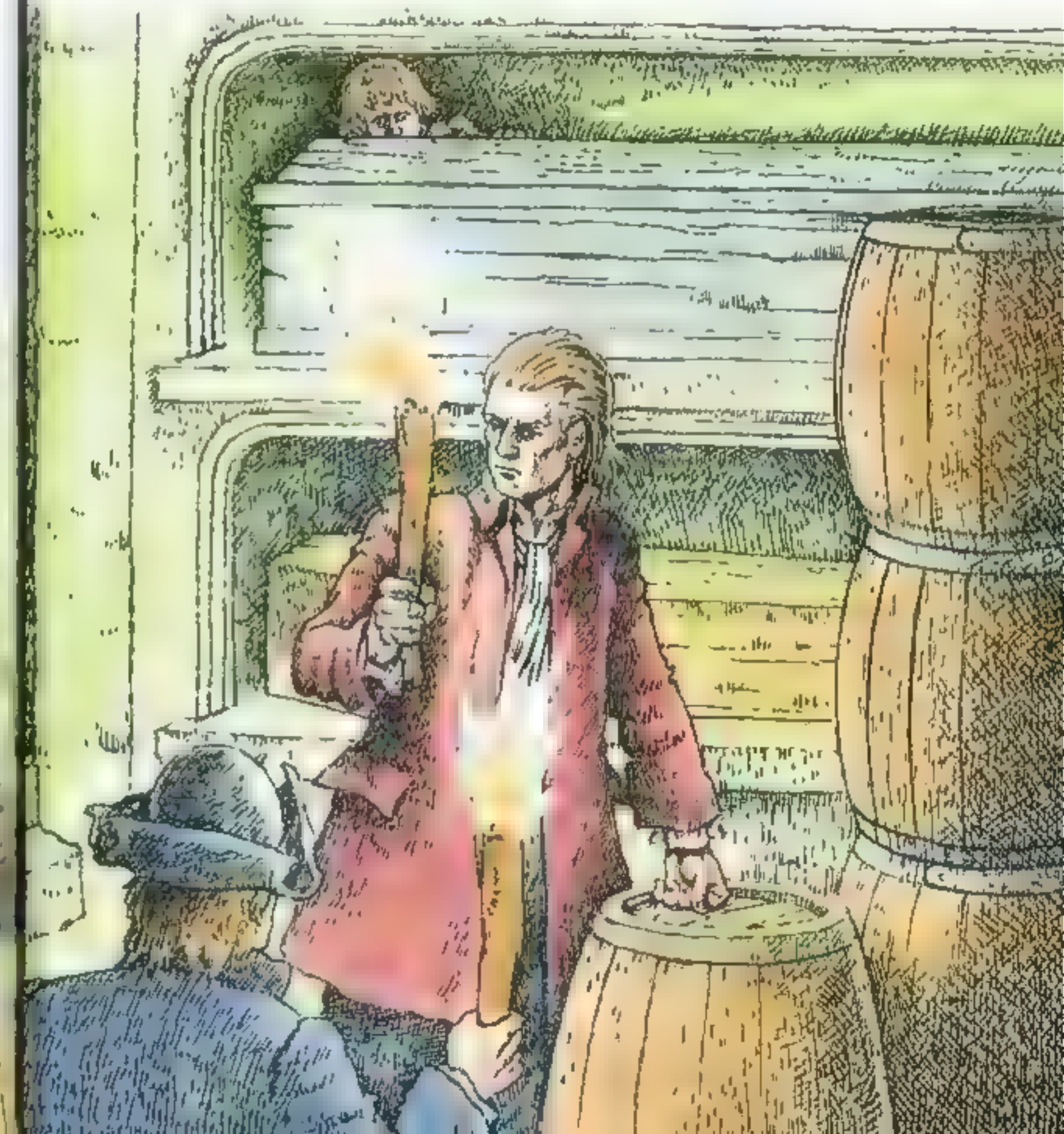
لكن ما أثار قلبي هو أن الرجال أتوا على ذكرى . قالوا إنهم رأوني في
كثير من المرات أتردد على المقبرة ، ثم أتجه صوب قصر الحاكم ماسكيو .
ورأى بعضهم أنني قد أكون مخبراً .

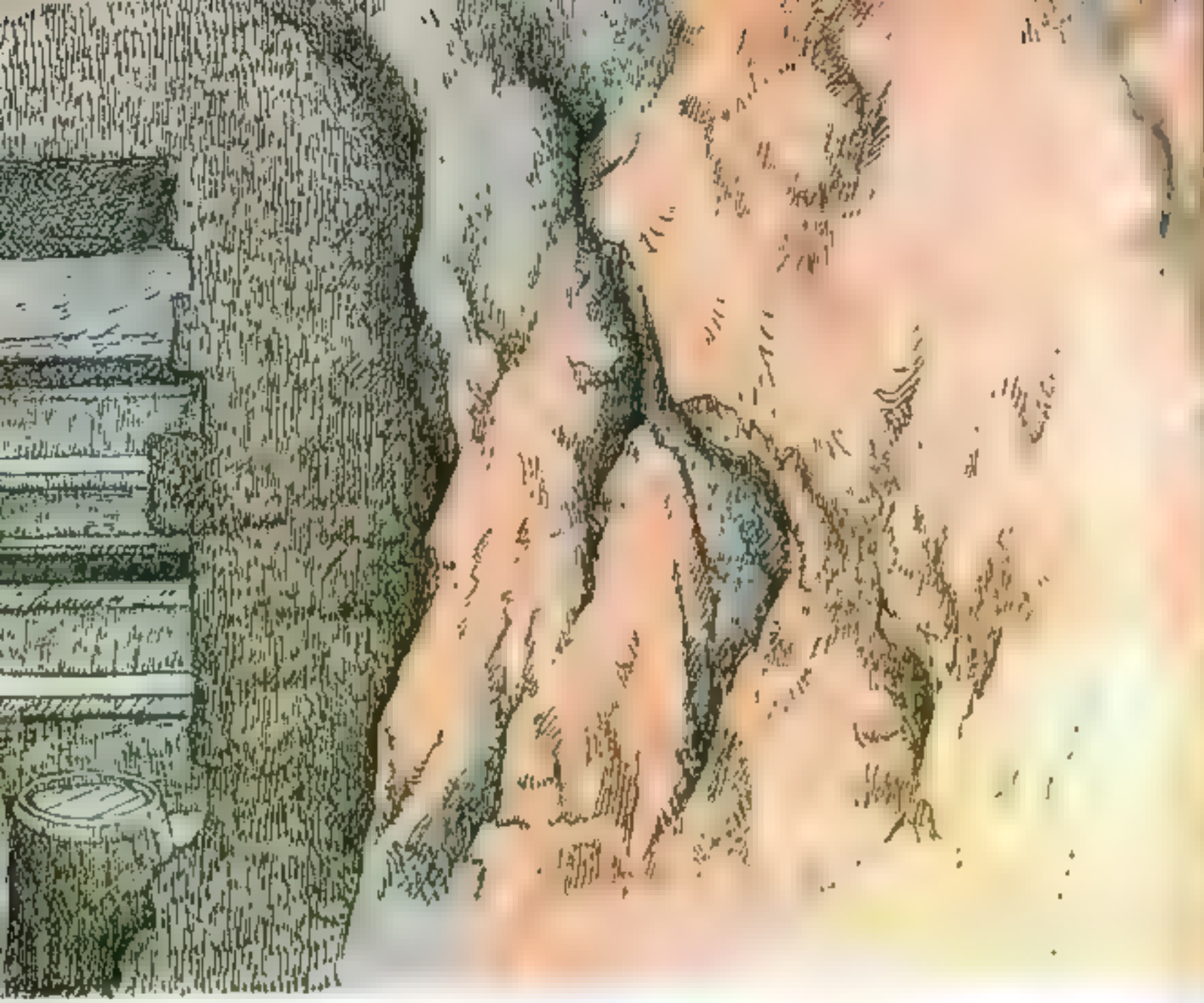
كنت فعلاً أتردد على الحراقة المحيطة بالقصر ، أملًا في رؤية غريس
ماسكيو ، ابن الحاكم ، التي أحببتها حبًا حويًا . وكانت غريس ، على
عكس أبيها ، رقيقة صادقة محبة .

هذا خوئي عندما تحدثت رأسي مدافعًا عني فلم يكن مستغربًا أن
اللقي أولئك الذين يحومون حول أسرار المهرلين نهية عمصة فجائية .

ثم فوجئت بالزفير يقول : « هذا الولد شجاع . أجهه كائن لي . إنه في
سأني جيمس . وسيكون بحارًا عظيمًا »

انتهى الرجال ، بعد ذلك بوقت قصير ، من إذخار بصائغهم
سمعت أصوات أقدامهم تتعد وانطفاة مشاعلهم .





سلسلة حول عنق الكولوبيل جون موهون. في داخل تلك العُبيبة وجدت ورقة
سب عليها بعض المزامير.

كانت شمعتي قد أوشكت على إنهايتها ، فقررت العودة لكي
أحط أن رأسي كان قد سدَّ الممر. لم أخف كثيرًا أول الأمر ظنًا مِنِّي أَنِّي
سأطبع زحزحة خجير ثم انطفأت شمعتي ووجدت نفسي في ظلام دامس.
بقيت حبسًا في ذلك الممر ثلاثة أيام ، في حال لا توصف من اليأس
والمر. بدا لي أنني لن أخرج من ذلك المكان أبدًا. وكنت أضرخ من
دعي صراخ مجنون إلى أن أقع معشياً عليَّ



عندئذ أضأت شمعتي ورفعت ساق فوق الغش لأنزل عن الرف.
لكن قدمني زلت وتمسكت في أثناء سقوطي بما وصلت إليه يداي ، فلم
أتمكن من الإمساك إلا بما بدا لي في تلك اللحظة عشبة أو قطعة من قماش.
انطفأت الشمعة في أثناء سقوطي ، فأعدت إضاءتها. ولشد ما كان
فرعي حين رأيت بين يدي لحيّة إنسان. رميت اللحيّة من يدي كما ترمى
جمرة ، فقد أدركت أنها لحيّة الكولونيل جون موهون.

رحت أجري في الممر مذعورًا ، ثم نالكت بعد حين نفسي وعدت
أفتش عن الكثر. ولم أخط لقاء آلامي إلا بعُبيبة فضية مُسوّدة كانت معلقة

عُدْتُ إِلَى وَعْيِي مَرَّةً فَوَجَدْتُ نَفْسِي أَنَّهُ فِي سَرِيرٍ فِي غُرْفَةٍ عَلَوِيَّةٍ
مِنْ بُرْجِ الْوَائِيْطِ . وَالزَّقِيرُ إِنِّي جَانِبِي .

رَوَى لِي كَيْفَ أَنَّ أَحَدَ الْقُرَوِيِّينَ سَمِعَ صُرَاخًا صَادِرًا عَنْ الْقُبُورِ .
فَأَصَابَهُ ذُعْرٌ شَدِيدٌ . وَعِنْدَمَا شَاعَ أَمْرُ غِيَابِي ، أَذْرَكَهُ وَرَأْسِي مَا حَدَّثَ .
وَأَسْرَعَا إِلَى الْمَقْبَرَةِ لِإِنْقَاذِي .

لَمْ تُبَدِّ خَالَئِي قَلْقًا لِيْغِيَابِي . وَعِنْدَمَا عُدْتُ إِلَى الْبَيْتِ أَنْكَرْتَنِي وَتَبَرَّأَتْ مِنِّي
وَصَفَقَتْ الْبَابَ فِي وَجْهِهِ .



عُدْتُ إِلَى نَزْلِ الْوَائِنِطِ حَزِينًا مُكْتَبِيًا . فَاسْتَقْبَلَنِي الزُّفَيْرُ بِعُصْفٍ وَفَتَحَ لِي
بَابَ بَيْتِهِ . وَقَالَ : « لَقَدْ قَدَّرَ لِي أَنْ أُقِذَ حَيَاتِكَ . وَتَكُونُ لِذَلِكَ فِي مَتَرَلَةِ ابْنِي
حِيمُس . »

كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَتَسَاءَلُ كَيْفَ يَنْغَمِسُ رَجُلٌ دِينَ صَالِحٍ مِثْلُ رَأْسِي ،
وَرَجُلٌ عَصُوفٌ مِثْلُ الزُّفَيْرِ . فِي أَعْمَالٍ تَهْرِبُ مُخَالَفَةَ لِلْقَانُونِ . عَلَى أَنِّي بَدَأْتُ
أَشْعُرُ أَنَّ أُولَئِكَ الرِّجَالُ يُحْسِنُونَ بِالْمَظَالِمِ الَّتِي يَفْرِضُهَا رِجَالُ الْإِدَارَةِ عَلَيْهِمْ ،
وَبِالضَّرَائِبِ الْقَاسِيَةِ الَّتِي تَفُوقُ طَاقَتِهِمْ . وَهَمُّ لِدَئِكَ يَشْعُرُونَ أَنَّ لِي تَهْرِبُهُمْ مِنْ
دَفْعِ الضَّرِيَّةِ تَبَرِيرًا .

كَانَ السَّيِّدُ مَسْكِو مُحَامِيًا يُمَارِسُ مِهْنَتَهُ فِي مَدِينَةٍ قَرِيبَةٍ . ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى
مُونَفَلِيْتِ وَاشْتَرَى قَصْرًا ، قَبْلَ أَنْ تَقَعَ أَحْدَاثُ هَذِهِ الْقِصَّةِ بِأَرْبَعِ سَنَوَاتٍ .
وَعِنْدَمَا احْتَرَى حَاكِمًا لِذَلِكَ الْقَضَاءِ أَقْسَمَ عَلَى أَنْ يَضَعَ حَدًّا لِعَمَلِيَّاتِ التَّهْرِبِ
فِي الْمِنْطَقَةِ . وَأَنْ يَسْتَخْدِمَ كُلَّ وَسِيلَةٍ مُمَكِّنَةٍ لِقَضَاءِ عَلَى الْمُتَهَرِّبِينَ .

كَانَ قَاسِيًا فِي مُعَامَلَتِهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَحْدُثُ أَنْ يَمُرُوا فِي مُمْتَلَكَاتِهِ .
وَأَهْمَلَ أَمْرَ الْعِنَايَةِ بِتِلْكَ الْمُمْتَلَكَاتِ . فَأَخَذَ الْبَلِي بِدَبِّ فِي الْقَصْرِ نَفْسِهِ .
وَعَاشَ وَحِيدًا مَعَ ابْنَتِهِ الَّتِي أَهْمَلَهَا إِهْمَالُهُ بَيْتَهُ وَكُلَّ شَيْءٍ حَوْلَهُ .

وَقَدْ وَقَعَتْ حَادِثَةٌ مُؤَسِفَةٌ فِي الْمَدْرَسَةِ أَخْرَجَ مَسْكِو عَلَى إِثْرِهَا ابْنَتَهُ مِنَ
الْمَدْرَسَةِ . وَأَهَانَ الْمُعَلِّمَ . تَمَلَّكَتْنِي بَعْدَ تِلْكَ الْحَادِثَةِ رَغْبَةٌ شَدِيدَةٌ فِي مُسَاعَدَةِ
الزُّفَيْرِ وَالْآخَرِينَ فِي تَهْرِبِ النَّصَائِعِ . نِكَايَةً فِي مَسْكِو وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ
الْأَسْبَابِ .



وبئسما كان الوكيل ومساعدته يتناولان طعامهما استعداداً للرحيل ، وكان لدثوس على وشك السقوط ، دخل السيد ماسكيو القاعة ، وسط دهشة الحاضرين وسخطهم ، واتجه إلى إحدى الطاولة.

صاح الزفير: «غير مرحّب بك في هذا البيت ، واحذر الإقتراب من طاولة المزاد!» فقد كانت الطاولة التي سجدت عندها خزان أبيه جيمس.

شحب وجهه ماسكيو ، وظلّ واقفاً في طرف القاعة ، لكيّة شارك في سراد . وكسبه . وبئسما كان يضع صكّ الإيجار في حبه رأيت مقبض مسدّسه منصّي . وبدأ واضحاً لما جميعاً أنّ الذي دفعه للفوز بالعقد كان كرهه للناس وحته لأديتهم . فقد دفع متلماً باهظاً لأفقر رُل في المقاطعة.

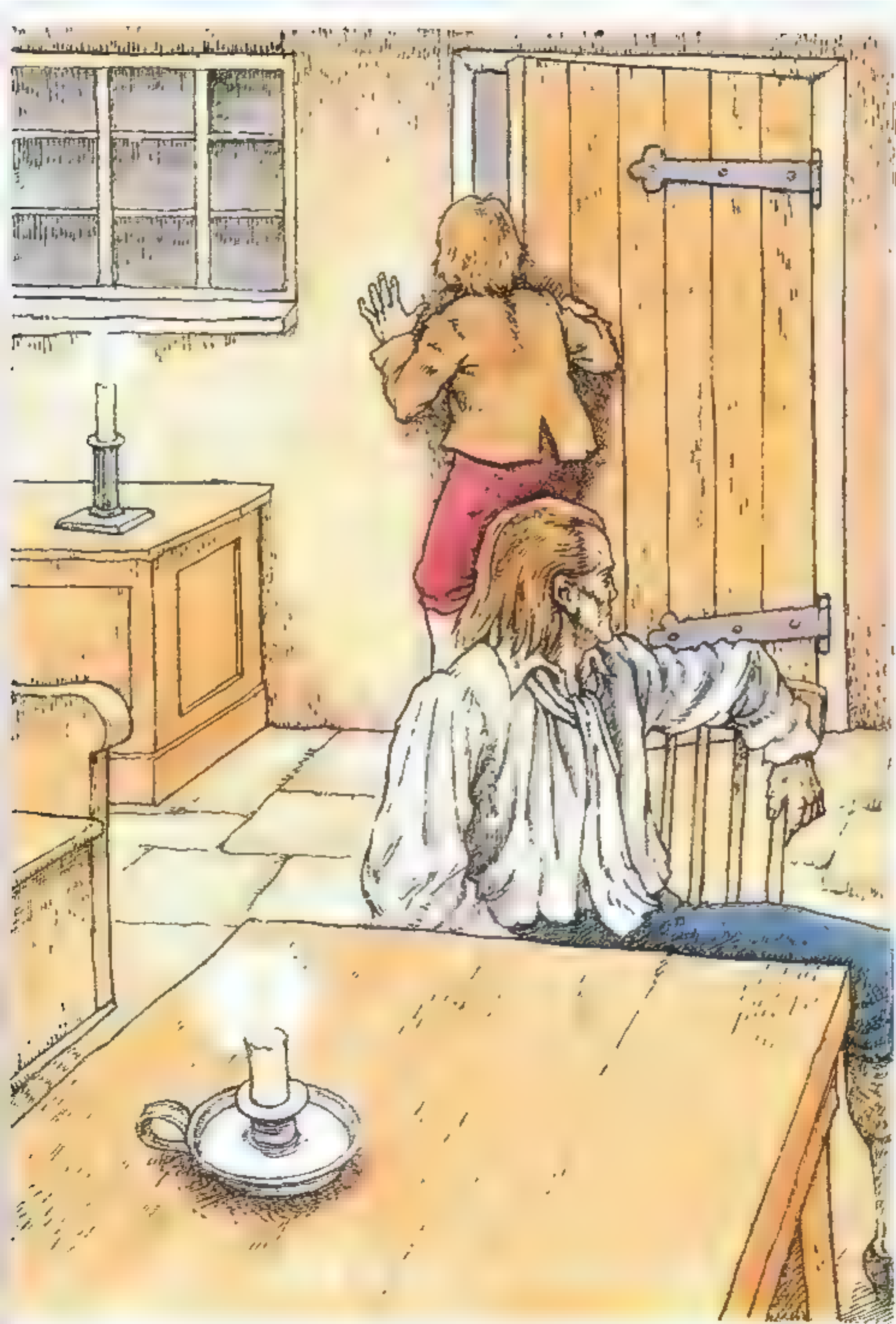


وكان أنّ سمح لي الزفير أنّ أعمل حارساً على مدخل الممرّ السريّ . وحرصت على أن أضع حول عني دائماً سلسلة لكونيل حون موهون . بعد أن رَسَخ في ذهني أنّها تعويذة تمنع الشرّ عن حاملها.

ومن المؤسف أنّه لم يكن من تعويذة تحلّص الزفير من سوء الطالع الذي كان سيحلّ به .

كان عقدُ إيجار رُل الوائبط بتجدد كلّ خمس سنوات ، فبأني وكيل الرُل ومساعدته لهذه العاية من لندن . وكانت عملية تجديد العقد روتينية معروفة النتيجة . لكنّها مع ذلك تشعّ نمطاً معيّناً يسمح لأيّ كان أن يقدم عرضاً

وفي اليوم التالي لوصول الوكيل ومساعدته ، ثبتّ دبّوس في شتعة مشتعلة على مسافة بوصة من أعلاها . ويكون عقد الإيجار من نصيب آخر رجل يقدم عرضه قبل سقوط الدبّوس ، أيّاً كان السعر الذي عرضه.



بَعْدَ تِلْكَ الْحَادِثَةِ . أَكْثَرَ مَسْكُورٍ مِنَ التَّرَدُّدِ عَلَى بُنْدَةِ سَاحِلِيَّةٍ قَرِيبَةٍ .
كَانَتْ مَرْكَزًا لِرَأْسِ دَائِرَةِ الضَّرَائِبِ فِي الْمُقَاطَعَةِ وَالْفِرْقَةِ الْحُكُومِيَّةِ الَّتِي تَأْتِمُرُ
بِأَمْرِهِ . وَقَدْ أُوحِيَ ذَلِكَ أَنَّهُ يُخَطِّطُ لِلْقِيَامِ بِهُجُومٍ عَلَى الْمُهَرَّيْنِ .

سَمِعَ الزَّفِيرَ يَتْلُكُ الْأَخْبَارَ . وَقَرَّرَ أَنْ يُتْرَلَ الْحُمُولَةُ التَّالِيَةَ مِنَ النَّضَائِعِ
الْمُهَرَّتَةِ فِي مِينَاءِ صَعِيرٍ قَرِيبٍ . وَلَيْسَ فِي مَوْفِلِيَّتِ . وَقَدْ أَطْعَنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ
ذَاتَ مَسَاءٍ قُبَيْلَ الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ عَلَيَّ فِيهِ أَنْ تَتْرَكَ الْوَابِنْتَ . وَتَرَأَى لِي أَنْ
أَحَدًا كَانَ يُنْصِتُ إِلَى حَدِيثِي . فَقَدْ رَأَيْتُ الْبَابَ يَتَحَرَّكُ حَرَكَةً خَفِيفَةً .
أَسْرَعْتُ أَنْتَحِقُّ مِنَ الْأَمْرِ فَلَمْ أَرَ فِي الظَّلَامِ أَحَدًا .

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ تَسَلَّلْتُ زُرُوبَةَ غُرَيْسٍ مَسْكُورٍ . وَحَدَّثْتُهَا بِمُخَطَّطَاتِنَا
مُطْمَئِنًّا ، بَعْدَ أَنْ تَعَاهَدْنَا عَلَى الرُّوَجِ .

وَعَدَّتْ غُرَيْسُ . تَعْبِيرًا عَنْ إِخْلَاصِهَا . أَنْ تَتْرَكَ فِي شَبَاكِهَا شَمْعَةً
مُصَدَّةً لِتَكُونَ دَلِيلًا لِنَزْوَارِقِي . فَتَبْحَارَةُ يَرُودُ الْقَصْرِ الْمُرتَفِعِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ .

حَدَّثَ أَنْ التَّقِيْتُ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ خَالَتِي . فَأَبَدْتُ مَوَدَّةً وَأَعْطَيْتِي كِتَابَ
الصَّلَاةِ الَّذِي كَانَ لِأُمِّي . وَوَدَّعْتَنِي وَدَاعًا أَخِيرًا .

عَادَرْنَا أَنَا وَالزَّفِيرُ الْقَرِيبَةَ مَسَاءً لِمِلَاقَاةِ سَفِينَةِ الْبُونَا فُتْشَرَ الَّتِي كَانَتْ سَتْفِرُغُ
حُمُولَتَهَا مِنَ النَّضَائِعِ الْمُهَرَّتَةِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ نَفْسِهَا . وَصَلْنَا الْمِينَاءَ الْمَقْصُودَ فِي
الثَّانِيَةِ صَبَاحًا . وَوَجَدْنَا الرِّجَالَ يَتَطَرِّوْنَ وَقَدْ تَوَزَّعُوا جَمَاعَاتٍ . وَخِيُولُهُمْ
حَوْلَهُمْ .



أَعْرَبَ الرُّقِيرَ عَنْ رَعْتِهِ فِي أَنْ يَتَوَلَّى هُوَ أَمْرَ الْإِقْتِصَاصِ مِنْ مَاسْكِيوِ
اِحْتَرَمَ الرُّجَالُ رَعْتَهُ وَأَطْلَقُوا فِي ضَوْءِ السَّخْرِ الَّذِي كَانَ قَدْ شَرَعَ يَمُدُّ خِيَوْصَهُ
وَتَرَكَ الرُّجُلَانِ وَحْدَهُمَا ، بَيْنَمَا وَقَفْتُ أَنَا قَرِيبًا وَقَدْ تَوَلَّيْتُ هَلْعٌ شَدِيدٌ .

شَرَعَ مَاسْكِيوُ بِصِيحٍ مُهْدِّدًا ، فَأَسْكَنَتْ صَوْتُ الرُّقِيرِ حَارِمٌ . وَهُوَ يَقُولُ :
« حَلَسْتُ مُنْذُ شَهْرٍ تَحْتَ سَقْفِي ، وَرُخْتُ تُرَاقِبُ اخْتِرَاقَ الشَّمْعَةِ وَسُقُوطَ
الدَّبَّوسِ ، لِتَحْصُلَ عَلَى مَا يُحَوِّلُكَ طَرْدِي مِنْ بَيْتِي . فِي هَذَا الصَّبَاحِ سَتُشَاهِدُ
الشَّمْعَةَ تَحْتَرِقُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَعِنْدَمَا يَسْقُطُ الدَّبَّوسُ سَأَصْعُ مُسَدَّسَتَ أَنْتَ فِي
رَأْسِكَ وَأَقْتُلُكَ كَمَا أَقْتُلُ حَشْرَةً مُؤْدِيَةً . »

أَخَذَ قَرْعُ مَاسْكِيوِ يَتَعَاطَمُ وَهُوَ يُرَاقِبُ اخْتِرَاقَ الشَّمْعَةِ ، فَبَكَى وَتَوَسَّلَ .
غَيْرَ أَنَّ الرُّقِيرَ لَمْ يَلْتَفِتْ لِبُكَائِهِ وَتَوَسَّلَاتِهِ . وَقَالَ : « إِنَّ حَيَاةَ الْآخَرِينَ الْآنَ فِي
مَوْتِكَ ، »

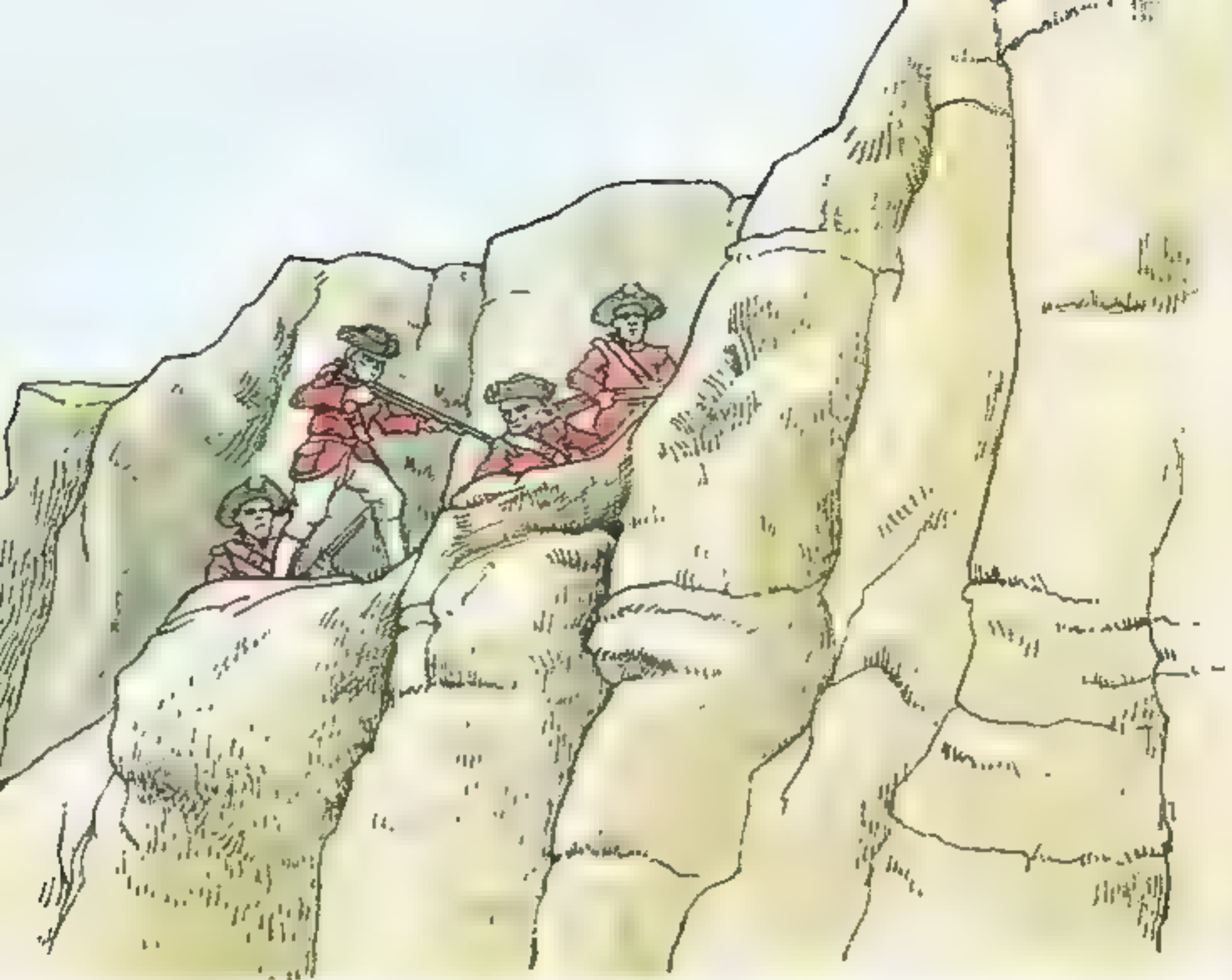
وَبَعْدَ قَلِيلٍ تَحَرَّكَتْ صَوْبَ اشْطَاطِي زَوَارِقُ مُحَمَّلَةٌ بِالْبَصَائِعِ مِنْ سَفِينَةِ
التَّهْرِيبِ . وَوُزَّعَتْ الْبَصَائِعُ عَلَى أُولَئِكَ الدِّينِ كَانُوا فِي الْإِنْتِظَارِ .

وَصَلْنَا إِلَى أَسْفَلِ الْمَمَرِّ الْجُرْفِيِّ . وَفَجْأَةً لَمَحْنَا حَرَكَةً خَفِيفَةً فِي
الْجَنَابَاتِ الْمُجَاوِرَةِ ، كَيْتَلِكَ الَّتِي يَتَسَبَّبُ بِهَا أَزْنَبُ أَوْ طَائِرٌ . اِنْدَفَعَ الرُّجَالُ
صَوْبَ مُصْدِرِ الْحَرَكَةِ ، فَبَادَا بِهِمْ وَجْهًا لِيُوجِّهَ أَمَامَ عَدُوِّهِمِ اللَّادُونَ مَاسْكِيوِ .
خَطَفُوا مُسَدَّسَهُ مِنْ جِرَامِهِ . وَعَدَدُوا بِهِ . وَالْقُوَّةُ عِنْدَ قَدَمَيِ الرُّقِيرِ .

وَعِنْدَمَا أَوْشَكَ الدَّوْسُ عَلَى السَّقُوطِ أَطْلَقَ مَاسْكِيو صَرْخَةً فَزَعٍ مُخِيفَةً.
أَسْرَعْتُ مِنْ فَزَعِي أَدْفَعُ يَدَ الزَّفِيرِ . فَانْطَلَقَ الْمُسَدِّسُ فِي الْهَوَاءِ . وَسُرْعَانِ مَا
جَاءَ الْجَوَابُ مِنْ بَعِيدٍ رَصَاصًا كَثِيفًا . وَبَدَأَ رِجَالُ مِنْ قُوَاتِ السُّلْطَةِ يَبْرُزُونَ فِي
أَعْلَى التَّلَالِ الصَّخْرِيَّةِ .

إِنْدَفَعَ الزَّفِيرُ بَيْنَ أَصْوَاتِ الرِّصَاصِ الْمُنْعِيهِ لِلْإِجْهَازِ عَلَى مَاسْكِيو . لَكِنَّ
رَصَاصَةً أَصَابَتْ مَاسْكِيو فَسَقَطَ قَتِيلًا . قُلْتُ أَنْ يَصِلَ خَصْمُهُ إِلَيْهِ . وَأُصِيبَتْ أَنَا
أَيْضًا فِي سَاقِي . فَأَسْرَعْتُ إِلَى الزَّفِيرِ وَحَمَلَنِي . كَمَا يُحْمَلُ ضِفْلٌ . وَرَكَضَ بِي
صَوْبَ قَعْدَةِ الْجُرْفِ الصَّخْرِيِّ مُبْتَعِدًا بِي عَنْ مَرْمَى الرِّصَاصِ .





ثُمَّ أَتَجَهَّ بِمَسَالَةِ نَادِرَةٍ صَوَّبَ أَعْلَى الْجُرْفِ . عَبْرَ مَمَرٍ ضَيِّقٍ مُلْتَوٍ شَدِيدِ
الْإِنْجِدَارِ ، لَا يَسْلُكُهُ إِلَّا الْمِعْزَى . لَمْ يَكُنِ الْجُنُودُ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ الْمَمَرَّ ، وَكَانَتْ
زَلَّةُ قَدَمٍ وَاحِدَةٍ تَعْنِي سُقُوطَ الْإِنْسَانِ مِنْ عَلًى لِيَتَهَشَّمَ فَوْقَ الصُّخُورِ .

أَنْزَلَنِي الزَّقْفِيرُ فِي أَعْلَى الْجُرْفِ لِيَرْتَاحَ لِحِطَّاتِي . ثُمَّ عَادَ فَحَمَلَنِي وَمَشَى بِي
فَوْقَ بَعْضِ الصُّخُورِ الْمُدْبِيَةِ الْحَادَّةِ . إِلَى أَنْ وَصَلْنَا كَهْفًا يَقَعُ وَسَطَ مَقْلَعِ
حِجَارَةٍ قَدِيمٍ .

أَوْضَحَ لِي الزَّقْفِيرُ أَنَّ عَيْنَنَا أَنْ يَبْقَى فِي الْكَهْفِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِمَ جُرْحُ سَاقِي .
وَحَاوَلَ أَنْ يُؤَمِّنَ لِي مَا أَمْكَنَ مِنَ الرَّاحَةِ . لَكِنِّي عَانَيْتُ مِنْ أَثَرِ الْجُرْحِ حَتَّى
شَدِيدَةً قَاسِيَةً .

وسرعان ما تدبّر أمر غلام رأسي بما وقع له . فصدر رأسي بعد ذلك
يترك لنا طعاماً في كوخٍ مهتدمٍ يبعد نصف ميلٍ عن الكهف . ولم يكن يجرو
على الصحيء إلينا . فقد دأب بين الدس أن دماءنا مهدورة ، وأن من يقتلنا
يحصل على مكافأة .

وتيقناً آنذاك أن ماسكيو كان هو الذي أنصت إلى مُحادثتنا في نزل
الوايط . وكشف مخططاته . وأوصد إلى الحار التي نحن فيها .

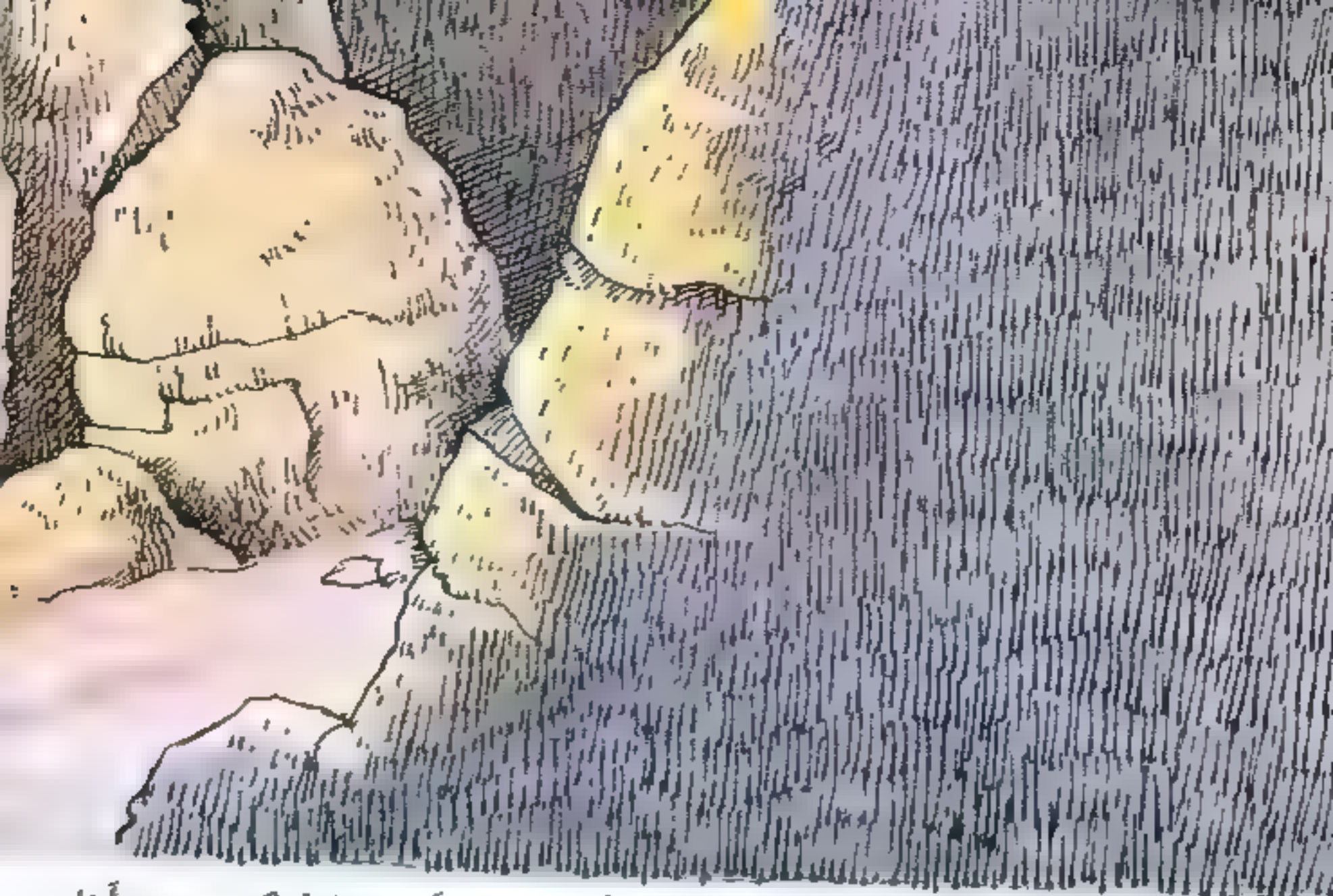
عندما شرفت على لشفاء رأى الزفير أن نذهب سراً إلى فرنسا على متن
سفينة التهريب بونفستشر . فإنه على الرغم من حالة الحرب التي كانت بين
إنكلترا وفرنسا كان المهربون من كلا البلدين كالإخوة .

مضى الزفير لترتيب أمر الرحلة . وهبت في تلك الأثناء عاصفة هوجاء .
وكان الكهف في نهاية ممرٍ مواجه للصخور ، وهكذا رحت الرياح تعوي
والأمواج تنظم الصخور في سفار التلال باعثة ضجيجاً مرعباً .

أمسكت كتاب الصلاة الذي ورثته عن أُمي . لكنني لم أجده فيه ما يبعث
الطمأنينة في قلبي . ثم سمعت صوت خطوات تقترب مني . فحشيت أن يكون
أمر الكهف قد نكشف . فأسرعت أرفع مسدسي . وما كان أعظم أطمئاني
حين رأيت أن القادم هو صديقنا رأسي .

كانت ثياب رأسي مبللة . وكان يرتجف برذاً . فأشعل ناراً ثم حدثني بما
عنده . قال إنه لم يعد يجرو على الاقتراب من الكوخ حيث كان يترك لنا
الطعام . فقد رصدت مكافأة لمن يهدي بمعلومات تفضي إلى اعتقالي واعتقال
الزفير . وقد أيقن أيضاً أن بين المسؤولين من يشك بأمري ويعتقد أنه على اتصال بنا .





أَعْلَمْتُهُ بِمُخْطَطِ الزَّفِيرِ . وَوَافَقْنَا الرَّأْيَ . لَكِنَّ أُحْرَنَهُ أَنْ يَنْتَهِيَ بِذِ الْأَمْرِ
مُطَارِدَيْنِ كَالْمُحْرَمِينَ . وَقَدْ حَدَّثَنِي عَنْ جَنَازَةِ مَاسْكِيو . وَمَتَدَحِ الشَّجَاعَةِ الَّتِي
أَبْدَتْهَا نُسَةُ غَرِيْسِ الَّتِي رَفَضَتْ أَنْ تَنْظُرَ سَوْءًا بِي وَبِالزَّفِيرِ .
وَبَيْنَمَا كُنْ يُحَدِّثُنِي لَمَحَتْ عَيْنُهُ وَرَقَةً سَقَطَتْ مِنْ عُيْبَةٍ ذِي لُحْيَةٍ
السَّوْدَاءِ الَّتِي لَا تُفَارِقُ عُنُقِي . انْتَقَطَ الْوَرَقَةُ وَقَرَأَهَا . ثُمَّ عَنَقَ عَلَيْهَا قَائِلًا أَنْ لَيْسَ
لِلْكَاتِبِ مَعْرِفَةٌ بِالْمَرَامِيرِ . فَإِنْ تَرَقِيمُهَا مُخَالِفٌ لِلتَّرْقِيمِ الْأَصْبِيِّ .
دَفَعَنِي الْفُضُولُ ، نَعْدًا أَنْ تَرْكَنِي رَأْسِي . إِلَى أَنْ أَنْظُرَ فِي مَرَامِيرِ كِتَابِ
الصَّلَاةِ ، فَرَأَيْتُ أَنَّهُ عَلَى حَقٍّ .

خَطَرَ لِي فَجَاءَةً أَنْ فِي الْكَلِمَاتِ رُمُوزًا تَدُلُّ عَلَى مَوَاضِعِ الْكَثَرِ . فَعَدَدْتُ
الْكَلِمَاتِ فِي كُلِّ نَيْتٍ مِنَ الشُّعْرِ . وَفَقَّ التَّرْقِيمِ الْمُعْطَى . وَوَجَدْتُ أَنِّي عَثَرْتُ
عَلَى الرُّمُوزِ الْآتِيَةِ : ثَمَانِينَ - قَدَمَ - عُمُقَ - بِثَرٍ - شَهْلًا .



غَمَرَنِي الْفَرَحُ فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ : فَقَدْ كُنْتُ وَاثِقًا أَنِّي وَجَدْتُ مِفْتَاحَ اللَّغْزِ
الَّذِي يَقُودُ إِلَى مَاسَةٍ ذِي اللَّحْيَةِ السَّوْدَاءِ . لَكِنْ . تَعَدَّ شَيْءٌ مِنَ التَّمَعُّنِ .
وَجَدْتُ أَنِّي لَا أَفْهَمُ مَعْنَى مُتْرَابِطًا لِيَتَكَ الْكَلِمَاتِ . وَبَقِيتُ حَائِرًا إِلَى أَنْ غَلَبَنِي
النَّوْمُ .

اسْتَيْقَظْتُ فَرَأَيْتُ الزَّفِيرَ قَدْ عَادَ . وَكَانَ مِنْهُمْ كَمَا فِي إِعْدَادِ وَجِبَةِ طَعَامٍ .
أَخْبَرْتُهُ بِمَا اكْتَشَفْتُ وَرُحْنَا مَعًا نَحْوًا لِرَبْطٍ بَيْنَ كَلِمَاتِ الرَّمْزِ .

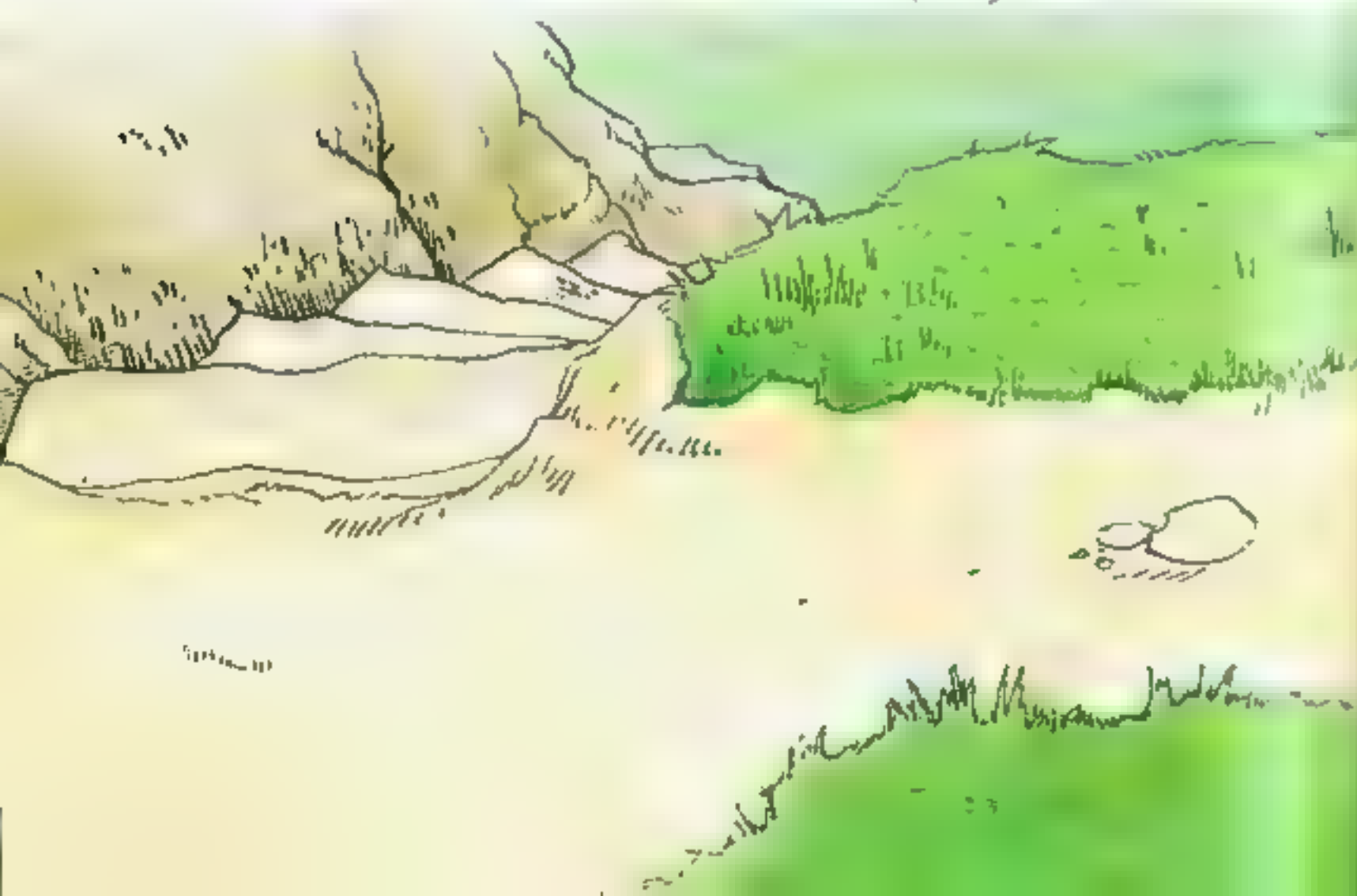
فَجَاءَتْ أَشَعْتُ عَيْنَا الزَّفِيرِ وَقَالَ : « إِنَّ الْبِشْرَ الَّتِي يُشَارُ إِلَيْهَا لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ
بِشْرَ قَلْعَةِ كَارِسْبْرُوكِ الَّتِي اشْتَهَرَتْ بِعُمُقِهَا . »

ثُمَّ قَالَ : « بِشْرٌ وَشِمَالًا تَعْيِيَانِ أَنْ عَلَيْنَا أَنْ نَبْدَأَ حَيْثُ تُشِيرُ إِبْرَةُ الْبُوصْلَةِ إِلَى
الشَّمَالِ ثُمَّ نَنْزِلُ فِي الْبِشْرِ إِلَى عُمُقٍ ثَانِيٍّ قَدَمًا . وَعِنْدَ تِيكَ النُّقْطَةُ نَجِدُ الْكَزْرَ . »

قرَّرَ الرَّقِيرُ ، غَدَ حَلَّ لَعْرَ الْكَرْبِ ، أَنْ تَوَجَّهَ بِسَفِينَةِ الْوِثَاقِشْرِ إِلَى جَرِيرَةِ
وَيْثِ مُشْكِرَيْنِ ، خَشِيَّةٌ أَنْ يَتَعَرَّفَ إِلَيْهَا جُنْدُ الْمَلِكِ

قَبْلَ بَدْءِ الرِّحْلَةِ يَوْمَيْنِ أَسْرَرْتُ إِلَى الرَّقِيرِ أَنَّ فِي رَعْمَةٍ عَارِمَةٍ لُودَاعِ
عَرِيسٍ مَاسْكِيوٍ . كُنْتُ وَاثِقًا أَنِّي إِذَا تَنَكَّرْتُ فِي زِيٍّ صَبِيٍّ بَجَارٍ ، وَاسْتَعْتُ
مَعْرَاتٍ غَيْرَ مَطْرُوقَةٍ ، فَإِنِّي سَأُبْلَعُ مَوْتَقَلِيتَ دُونَ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِي أَحَدٌ .

أَجَابَ الرَّقِيرُ : « أَنْتِ وَلَدُ أَحْمَقٍ . لَكِنْ لِلشَّابِّ حِمَاةٌ وَرَعِبَاتٌ لَقَدْ
كَانَ لِي دَوْرٌ فِي حَالَةِ التَّشَرُّدِ الَّتِي تُعَانِي مِنْهَا ، وَلَا أُرِيدُ أَنْ أُرِيدَ مِنْ أَحْرَابِكَ .
فَادْهَبِي ، لَكِنْ إِنْ طَلَقْتَ عَلَيْكَ الدَّرَّ فَلَا تَلْمِ إِلَّا نَفْسَكَ . لَصَالِمَا تَسَاءَلْتُ كَيْفَ
يُنْحِتُ رَحْلُ صَالِحٍ فِي الشُّرُورِ مِثْلَ تِلْكَ الْإِبْتِغَاءِ الصَّادِقَةِ الْوَدِيعَةِ . إِنْ لَمْ نَعُدْ حَتَّى
مُتَّصِفٍ لَيْلٍ غَدٍ ، سَأَعْتَبِرُ أَنَّكَ وَقَعْتَ فِي الْمَتَاعِبِ وَأَسْمَى لِلْبَحْثِ عَنْكَ . »
أَمْسَكْتُ يَدَهُ وَشَدَدْتُ عَلَيْهِ شَاكِرًا . وَعِنْدَ الْغَسَقِ رَافَقَنِي فِي الْمَرَّحَلَةِ
الْأُولَى مِنَ الطَّرِيقِ ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ وَخَدِي .



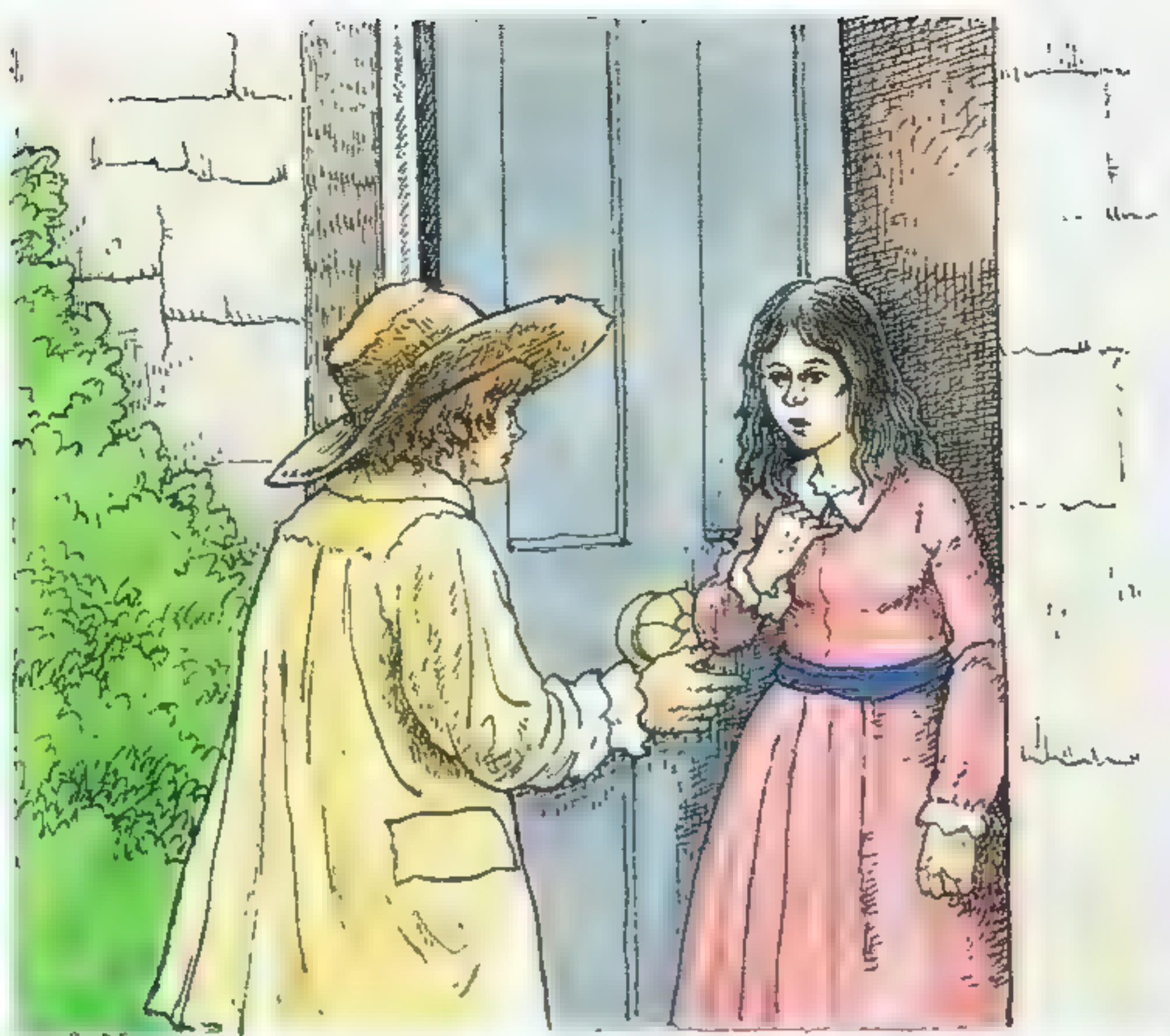
وَصَلْتُ الْقَصْرَ الْمُعْزِلَ وَقَرَعْتُ الْبَابَ . فَلَمْ تَعْرِفْنِي عَرِيسَ لِبَوْهَلَةٍ
الْأُولَى . ثُمَّ قَفَزْتُ إِلَيَّ حِينَ عَرَفْتَنِي . وَبَكَتْ سُرُورًا أَدْرَكْتُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَا لَمْ نَعُدْ
طِفْلَيْنِ .

مَشِينَا إِلَى مَكَانٍ مُزَوٍّ فِي الْحَدِيقَةِ . فَسْتَرَحْتُ قَلِيلًا . ثُمَّ جَاءَتْنِي بِشَيْءٍ مِنَ
الطَّعَامِ . تَحَدَّثْنَا كَثِيرًا وَأَضَعْتُهَا عَلَى مَخْطَطَاتِي كُتُبًا . وَجَدَدْتُ وَعْدَهَا أَنْ تَتْرَكَ
شَمْعَةَ مُضَاءَةٍ فِي شُبِّ كَيْهَا طَوَالَ اللَّيَالِي . حَتَّى تَهْدِيَ طَرِيقِي حِينَ عَوْدِي مِنَ الْبَحْرِ .
وَقَالَتْ إِنَّ تِلْكَ الشَّمْعَةَ لَنْ تَنْصَفِيَ إِلَّا بِمَوْتِنِي . وَإِنَّ فِي شِتْعَالِهَا إِشَارَةً لِي أَنَّهَا لَا
تَزَالُ فِي أَنْتِظَارِي .

عَلَى أَنَّهَا حِينَ سَمِعَتْ حِكَايَةَ الْكَثْرِ أَصَابَهَا اضْطِرَابٌ . وَقَالَتْ : « إِذَا
وَجَدْتِ الْمَاسَةَ . فَلَا تَأْخُذْهَا لِنَفْسِكَ . بَلْ أَفْعَلْ بِهَا مَا كَانَ صَاحِبُهَا الشَّرِيرُ قَدْ
نَوَى . فِي آخِرِ حَيَاتِهِ . أَنْ يَفْعَلَ بِهَا . وَإِلَّا حَتَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ . »
حَمَمْتُ أَوْهَامَهَا الْإِبْتِسَامَ إِلَى شَفَتِي . فَقَدْ كُنْتُ أُبْحَثُ عَنِ الثَّرَاءِ
لَأَكُونَ جَدِيرًا بِالزَّوْاجِ بِهَا . ثُمَّ افْتَرَقْنَا وَعُودْتُ إِلَى الرَّقْرِ قَبْلَ الْمَوْعِدِ
الْمَضْرُوبِ بِنِصْفِ سَاعَةٍ .

وَالْيَتَمَةُ التَّالِيَةُ اقْتَرَبَتْ سَفِينَةُ الْبُونَا فَتَشَرَّ مِنَ الشَّاطِئِ الْقَرِيبِ مِنْ
مَخْبِئِنَا . وَأَرْسَلَتْ زَوْزَقًا لِأَخْذِنَا . وَعِنْدَ انْبِلَاجِ الصَّبَاحِ رَسَوْنَا عَلَى شَاطِئِ
جَزِيرَةٍ وَايَتْ . ثُمَّ اتَّجَهْنَا صَوْبَ نَزْلِ بَلَدَةِ نِيُوبُورْتِ مُتَنَكِّرِينَ فِي ثِيَابِ سَائِقِي
الْعَرَبَاتِ .

كَانَ صَاحِبُ النَّزْلِ صَدِيقًا لِلرَّقْرِ لِأَزْمَةٍ لَازِمَةٍ سَنَوَاتٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَعْرِفْهُ
أَوَّلَ الْأَمْرِ . أَقَمْنَا فِي النَّزْلِ مُدَّةً كَانَ الرَّقْرِ فِي أَثْنَائِهَا يَسْتَطِيعُ الْمُدَّةَ وَيُفَكِّرُ فِي
طَرِيقَةٍ يَصِلُ بِهَا إِلَى الْقَلْعَةِ وَيُثْرِهَا .



كَانَتِ الْقَلْعَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تُسْتَعْمَلُ سِجْنًا لِلْأَسْرَى الْفَرَنْسِيِّينَ . وَقَدْ قَابَلَ
الزُّقَيْرَ بَعْضَ ضَبَاطِ السَّحَرِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَرَدَّدُونَ عَلَى التُّرْلِ ، وَتَمَكَّنَ بِوَاسِطَتِهِمْ
مِنَ الدُّخُولِ إِلَى سَاحَةِ الْقَلْعَةِ . ثُمَّ تَعَرَّفَ إِلَى الرَّجُلِ الْمَسْئُولِ عَنْ حِرَاسَةِ
الْبَيْتِ ، وَأَقْنَعَهُ بِالتَّعَاوُنِ مَعَنَا ، لَكِنْ بَعْدَ أَنْ أُطْلِعَهُ عَلَى السِّرِّ وَوَعَدَهُ أَنْ يَكُونَ
شَرِيكًا لَنَا فِي الْكَثْرِ

وَهَكَذَا دَخَلْنَا فِي الْيَوْمِ التَّالِي الْقَلْعَةَ مُتَكَرِّرِينَ . هَذِهِ الْمَرَّةَ ، فِي زِيَّ
بِنَاءٍ وَصِيَّهِ اسْتُخْدِمَا لِتَرْقِيعِ جَانِبِ مُتَشَقِّقٍ مِنْ جِدَارِ الْبَيْتِ .



أَخَذْنَا عَبْرَ قَاعَةٍ وَاسِعَةٍ كَانَ السُّجَّاءُ يَعِشُونَ فِيهَا . ثُمَّ إِلَى سَاحَةِ تَقَعُ فِيهَا
سَقِيفَةُ الْبَيْتِ .

كَانَ الْبَيْتُ مُحَاطًا بِجِدَارٍ عُلُوُّهُ قَدَمَانِ . وَكَانَ مُزَوَّدًا بِدَلْوٍ مُتَّصِلٍ
بِدَوْلَابٍ يُشَغِّلُهُ حِمَارٌ .

أَخْرَجَ الزُّفَيْرُ مِنْ جَيْبِهِ خَيْطَ فَادِنٍ . وَرَأَى أَنْ يُسْقِطَ الْحَيْطَ فِي الْبَيْتِ
إِلَى عُمُقِ ثَمَانِينَ قَدَمًا ، وَهِيَ الْمَسَافَةُ الَّتِي يُشِيرُ إِلَيْهَا اللَّفْزُ . ثُمَّ أَنْ يَنْزِلَ هُوَ فِي
الدَّلْوِ لِيَتَفَحَّصَ جَوَانِبَ الْبَيْتِ .

لَكِنِّي تَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ أَنْ أَقُومَ أَنَا بِالْمُهَمَّةِ لَا هُوَ . فَقَدْ كُنْتُ أَتَوَقَّعُ لِبَحْثِ
عَنِ الْكَثَرِ بِنَفْسِي ، كَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَتَقَيَّ وَحْدِي مَعَ ذَلِكَ الْحَارِسِ اللَّئِيمِ
النَّظَرَاتِ .

وَاقِفَ الزُّفَيْرِ ، فَتَزَلْتُ فِي الدَّلْوِ الضَّخْمِ . وَقَبَعْتُ دَاخِلَهُ حَتَّى بَلَغْتُ
نُزُولَ نُقْطَةِ الثَّمَانِينَ قَدَمًا . ثُمَّ نَظَرْتُ حَوْلِي نَظَرَاتٍ مُدَقِّقَةً فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا
يَسْتَلْفِتُ النَّظَرَ .

نَادَيْتُ الزُّفَيْرَ ، وَصِحْتُ : «أَأَنْتَ وَائِقُ أَنْكَ أَنْزَلْتَ خَيْطَ الْفَادِنِ
ثَمَانِينَ قَدَمًا بِالضَّبْطِ؟»

تَذَكَّرَ حَارِسُ الْبَيْتِ عِنْدَئِذٍ أَنَّ الْأَرْضَ كَانَتْ قَدْ فُرِشَتْ بِالْتُّرَابِ أَقْدَامًا .
هَذَا نَزَلْتُ مَسَافَةَ سِتِّ أَقْدَامٍ أُخْرَى . وَنَظَرْتُ حَوْلِي ثَانِيَةً نَظْرَةً مُدَقِّقَةً .

أَخِيرًا وَقَعَ نَظْرِي عَلَى آجُرَةٍ يُقَشَّ عَلَيْهَا حَرْفٌ يَرْمِزُ إِلَى الْمُوْهُونِ . أَرَلْتُ
الْمِلاطَ مِنْ حَوْلِ الْآجُرَةِ وَسَحَبْتُهَا . فَوَجَدْتُ خَلْفَهَا كِبْسًا جِلْدِيًّا صَغِيرًا يَحْتَوِي
عَلَى جِسْمٍ صُلْبٍ .



تمكّنت في هذه الأثناء من الخروج من البئر ، ورأيت الرّقيق يدفع عنه
حصنه بقوة خارقة . ورأيت الحارس يقف توارنه ويتعثر فوق فوهة البئر ثم
رأيت الرّقيق يقفز ويمسك حصنه من حزامه محاولاً إنقاذه . لكن محاولته
دهست عثاً ، فقد انقطع الحزام ، وسقط الحارس في أعماق البئر سقوطاً مريعاً .



أشرت إلى الرّقيق فراح الدّلو يرتفع بي لكن الحارس أوقف السّحب
قُبيل وصولي إلى فوهة البئر ، وطلب أن تسلم الجوهرة إليه وبدأت في عبثه
نظرات مريبة وهو يحدق في الجوهرة التي كانت . بعد أن أخرختها من
كيسها . تشع في ضوء الشمس .

رفضت طلب الحارس . ولتفت إلى الرّقيق يسأله على تقاسم الجوهرة
معه . وجرماني من نصيبي . وعندما أخفق في محاولته سحب مسدّسه وصاح
قائلاً إنه يعرف أننا مطلوبان ، وهدّد بإفشاء أمرنا إلى السّلطات ما لم يحصل على
الجوهرة .

أطلق الحارس على الرّقيق رصاصة خاطئة وأصابت سلسلة البئر . ثم
انقص على عنق صاحبي . وثبت بين الرّجيتين صراع مستميت .

نَحُونَا أَنَا وَالزَّقِيرُ ، وَبِكَيْ تَذَكَّرْتُ لَعْنَةَ الْجَوْهَرَةِ الَّتِي حَدَّثَنِي غَرِيسُ
مِنْهَا . لَقَدْ وَقَعَ الْحَارِيسُ ضَحِيَّةَ تِلْكَ اللَّعْنَةِ وَأَزْهَقَتْ رَوْحَهُ ، فَمَنْ يَكُونُ بَعْدَهُ ؟
تَوَسَّلْتُ إِلَى الزَّقِيرِ أَنْ نَرْمِيَ الْجَوْهَرَةَ فِي الْبَئْرِ فَنَأْمَنَ شَرُّهَا .

لَكِنَّهُ رَفَضَ رِحَانِي ، وَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أَقْلَعَ عَنْ أَوْهَامِي . وَقَالَ : « أَعْطِي
الْجَوْهَرَةَ إِنِّي كُنْتُكَ ، وَلَنْ أَمْسَهُ أَوْ أَمْسَ جُزْءًا مِنْهُ . لَكِنَّا خَاطَرْنَا بِحَيَاتِنَا مِنْ
أَجْلِهَا فَلَنْ أَدْعَكَ تُضَيِّعُهَا سُدَى . »

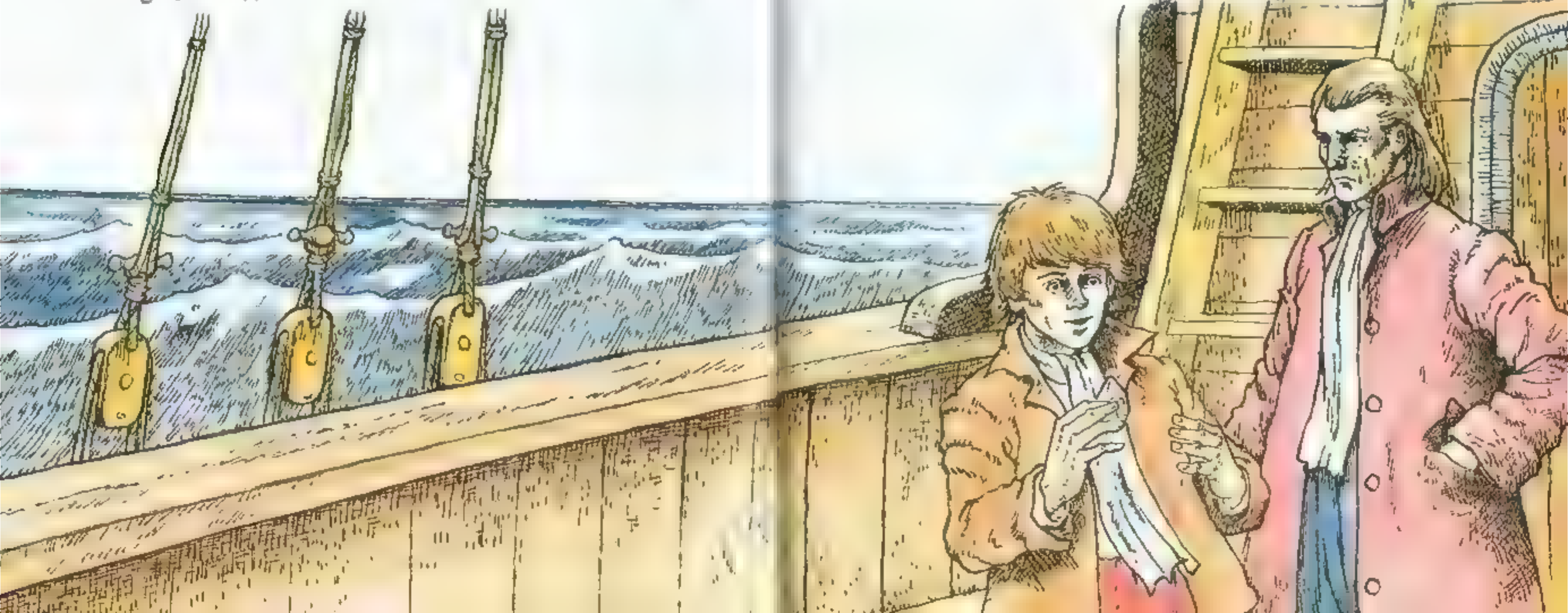
ثُمَّ انْتَرَعْنَا مِنْ حِزَامِ الْحَارِيسِ مِفْتَاحَ سَقِيفَةِ الْبَئْرِ ، وَغَادَرْنَا الْقَلْعَةَ بِأَقْصَى
سُرْعَةٍ . وَرِعْمًا عِنْدَ الْبَوَابَةِ أَنَّ حَارِيسَ الشَّرِّ لَمْ يَحْذُ مِنْ صَرُورَةِ لَمْرَافِقِنَا إِلَى
الْحَارِجِ .

عُدْنَا إِلَى التَّرْلِ ، وَأَبْحَرْنَا فِي اللَّيْلَةِ النَّالِيَةِ إِلَى هَوْلَنْدَا حَيْثُ لِلْجَوَاهِرِ سُوقٌ
رَاجِحَةٌ .

أَمَّا أَنَا فَقَدْ سَحَرَنِي جَمَالُ الْجَوْهَرَةِ ، وَسَيَّطَرَتْ عَلَى تَفْكِيرِي أَحْلَامُ الثَّرَاءِ
الَّذِي سَيُمْكِنُنِي يَوْمًا مِنَ الزَّوْاجِ مِنْ غَرِيسِ .

وَقَدْ أَقْلَقْتُ تَصَرُّفَاتِي الزَّقِيرِ ، وَشَرَعَ بِدَوْرِهِ يُرَدِّدُ مَا كَانَتْ غَرِيسُ قَدْ
حَدَّثَتْنَا مِنْهُ . قَالَ :

« إِنِّي جَوْهَرَتُكَ . لَكِنْ لَوْ كُنْتُ مَكَانَكَ وَاثْرَيْتُ . وَأَتَيْحَ لِي أَنْ أَعُودَ إِلَى
مَوْقَلِيَّتِ ، فَلَنْ أَسْتَعْمِلَ الْمَالَ كُلَّهُ فِي مَآرِبِي الْخَاصَّةِ ، بَلْ أَعِيدُ بِنَاءَ بُيُوتِ
الْفُقَرَاءِ ، كَمَا نَوَى ذُو اللَّحْيَةِ السَّوْدَاءِ ، فِي آخِرِ حَيَاتِهِ ، أَنْ يَفْعَلَ . »



قَصَدْنَا فِي هَوَانِدَا بَيْتِ تَاجِرِ مُجَوَّهَرَاتٍ عَجُوزٍ . رَافَقْنَا إِلَى عَلَيْهِ فِي بَيْتِهِ
حَيْثُ شَرَعَ يَفْحَصُ الْمَاسَةَ . وَيَسْمَعُ كَذَلِكَ يَفْعَلُ ذَلِكَ سَأَلَنِي عَنْ اسْمِي . فَأَحْبَبْتُهُ
مُسْرَعًا : «اسْمِي جَوْدُ تَرْتَشُدُ مِنْ قَرِيبَةٍ مَوْنَلَيْتِ الْإِنْكَبِزِيَّةِ» .

رَاحَ الرَّجُلُ يَتَفَحَّصُ الْمَاسَةَ بِتَأَنٍّ شَدِيدٍ حِلَالٍ مُكْرٍ . وَبَرْنَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ
مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ . ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَيَّ مُتَجَهِّدًا . وَقَالَ إِنَّهَا مَاسَةٌ مُزَيَّيَّةٌ لَيْسَ لَهَا إِلَّا قِيَمَةٌ
زَهِيدَةٌ . وَعَرَضَ لِقَاءَهَا ثُمَّ بَخَسَ .

أَحْسَ الْأَزْفِيرُ بِحَبِيبَةِ أَمَلٍ مَرِيرَةٍ وَرَمَى . فِي ثَوْرَةٍ غَضَبِهِ . الْجَوْهَرَةَ مِنْ
الشُّبَالِ . أَطْلَقَ التَّاجِرُ صَيْحَةً حَدَّةً . لَكِنَّا غَادَرْنَا الْبَيْتَ مِنْ فَوْرِنَا . وَقَدْ غَشَّتِ
الْمَرَارَةُ عُيُونَنَا .

حَاوَلَ الْأَزْفِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَبْعَثَ السَّلَوَى فِي نَفْسِي ، فَقَالَ : «كُنْتُ
تَخْشَى أَنْ تَكُونَ الْجَوْهَرَةُ مَنْعُونَةً . وَهِيَ قَدْ تَخَصَّصَتْ مِنْهَا . وَلَعَلَّ فِي ذَلِكَ خَيْرًا
لَكَ» .

وَحَدَّثَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَنِّي أَذْرَكْتُ فَجْدَةً أَنَّ التَّاجِرَ الْعَجُوزَ مُخَادِعٌ ،
وَفَهِمْتُ مَعْنَى الصَّرَخَةِ الَّتِي أَطْلَقَهَا . لَقَدْ كُنْتُ الْجَوْهَرَةُ حَقِيقِيَّةً وَذَاتَ قِيَمَةٍ
عَظِيمَةٍ .

عُدْتُ أَنَا وَالْأَزْفِيرُ إِلَى بَيْتِ التَّاجِرِ . وَتَسَلَّقْنَا سَوْرَ الْبَيْتِ وَشَرَعْنَا نَبْحَثُ فِي
الْحَدِيقَةِ . لَكِنِ الْجَوْهَرَةُ كُنْتُ قَدْ اخْتَفَتْ . وَوَجَدْنَا آثَارَ أَقْدَامِ تَثَبُّتٍ أَنَّ
النَّحْتَ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ الْعَجُوزَ قَدْ بِهِ مِنْ قَبْلِهِ لَمْ يَذْهَبْ سُدًى . تَسَلَّقْتُ شُرْفَةَ
الْعُرْفَةِ الْعُلَوِيَّةِ . فَرَأَيْتُ الْعَجُوزَ وَهُوَ مُسْحَنٌ عَلَى ضَوْءِ شَمْعَةٍ فَوْقَ كَنْزِي .

تَمَكِّي هِيَاجٌ شَدِيدٌ فَأَنْدَفَعْتُ نَحْوَ الرَّحْلِ . وَأَنْدَفَعَ الزَّفِيرُ وَرَأَيْتُ يُحَاوِلُ
أَنْ يَرُدَّنِي . لَكِنَّ الضَّجَّةَ الَّتِي أَثَرْنَاهَا نَبَّهَتْ خَدَمَ الْعَمُورِ . فَفَتَحُوا الْغُرْفَةَ
وَتَكَاثَرُوا عَلَيْنَا . وَأَمْسَكُونَا وَأَسْلَمُونَا إِلَى السُّلْطَاتِ .





إنَّ الدُّكْرِياتِ الَّتِي تَلَّتْ تِلْكَ الْحَادِثَةَ مَرِيرَةٌ . وَسَأَنِي عَلَى ذِكْرِهَا بِمَا
أَمَكَّنَ مِنْ إِيْجَازٍ .

لَقَدْ قَدَّمْنَا لِلْمُحَاكِمَةِ . وَادَّعَى التَّاجِرُ أَنَّ الْحَوْهَرَةَ مِنْكُمُ . وَأَنَّا كُنَّا
زُرْنَاهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِحُجَّةٍ أَنَّا نُرِيدُ بَيْعَهُ جَوْهَرَةً لَيْسَتْ فِي حَقِيقَتِهَا إِلَّا قِطْعَةٌ
زُجَاجٍ . وَزَعَمَ أَنَّ تِلْكَ الزِّيَارَةَ الصَّبَاحِيَّةَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا لِاسْتِكْشَافِ الْمَنْزِلِ وَوَضْعِ
خُطَّةٍ لِسَرَقَتِهِ .

حاولنا أن ندافع عن أنفسنا . لكن الحكم صدر بإدانتنا . وحكمه علينا
بالأشغال الشاقة المؤبدة .

وقد مارسنا الأشغال الشاقة فعلاً مدة سنوات . لكن زاد في آلامنا أنهم
وسموا وجئتنا اليسرى بوسم المجرمين .

وكان الوسم يرمز إلى الحرف الأول من السجن الذي رُجِحنا فيه . واتفق
أن كان ذلك الحرف هو نفسه الذي يرمز إلى أسرة الموهون . فدخل في روعي
أن الموهون قد نالوا مني .

عندما بلغت السادسة والعشرين من عمري . وكان قد مضى على وجودنا
في الأسر عشر سنوات . علمت أن جماعتنا ستُنقل . في جملة جماعات من
المحكوم عليهم . إلى جزيرة جاوا . ليعمل في مزارع السكر .

وكان أن تبخّرت أحلامي بالعودة إلى إنكلترا تبخراً تاماً . ورُحْتُ
أتخيل نفسي أقضي أيامي تحت أشعة الشمس المحرقة . وتحت رحمة
سوط أمير العبيد .

وأمثال قلبي مرارة وأنا أراقب الرفير يمشي أمامي مجهداً . وقد انحنى
كتفاه وابتض شعره . ومرّ بخيالي ذلك الرجل الحارق الذي حملني منذ
سنوات . وصعد بي الممر المتوي الضيق الشديد الانحدار .

وملأت قلبي المرارة أيضاً عندما تذكرت كلمات غريس : « إذا وجدت
الماسة . فلا تأخذها لنفسك . بل افعل بها ما كان صاحبها الشرير قد نوى ، في
آخر حياته . أن يفعل بها . وإلا . حنت عليك اللعنة . »

بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ نَقَلْنَا قَوَارِبُ إِلَى السَّفِينَةِ الَّتِي كَانَتْ سَتَقْدُ إِلَى جَرِيرَةٍ
جَاوِا. ثُمَّ أَتَيْنَا إِلَى عَشْرِ السَّفِينَةِ وَرَبَطْنَا فِي مَحْمُوعَاتٍ مِنْ سِتَّةِ أَشْخَاصٍ.
وَكَانَ الْحَوْ فِي عَشْرِ السَّفِينَةِ مُعْتَمًا وَالرَّائِحَةُ كَرِيهَةٌ. وَلَمْ نَكُنْ نَشْعُرُ شَيْءًا مِنْ
الرَّاحَةِ إِلَّا عِنْدَمَا يُفْتَحُ الْبَابُ الْعُلَوِيُّ مَرَّتَيْنِ فِي الْيَوْمِ.

وَكَانَ قَدْ مَرَّ سَحَابٌ أَسْوَعٌ عَلَى وَحْدِنَا فِي الْحَرْ عِنْدَمَا هَتَّ عَاصِفَةٌ هَوَّاءٌ
مُخِيفَةٌ وَرَاحَتِ الْأَمْوَاحِ الْهَائِلَةِ تَضْرِبُ السَّفِينَةَ وَتَقْدِفُهَا كَرِيشَةٍ فِي مَهَبِ
الرَّيْحِ.



كُنْتُ أَنَا وَالزُّفَيْرُ وَحَدَّنَا ذَوِي خَيْرَةٍ فِي الْبَحْرِ. فَأَذْرَكُنَا، دُونَ سَائِرِ
الْمَحْكُومِ عَلَيْهِمْ. حَقِيقَةُ الْخَطَرِ الَّذِي يُحِيقُ بِنَا. وَلاَحِظْنَا أَنَّ السَّفِينَةَ كَانَتْ
مُنْذُ سَاعَاتٍ تَجْرِفُ مَعَ الرِّيحِ دُونَ أَيِّ سَيْطَرَةٍ عَلَيْهَا.

فَجَاءَتْ انْفِجَاحُ بَوَابِ السَّقْفِ. وَرَمَى السَّجَانُ إِلَيْنَا مِفْتَاحًا. وَصَاحَ
«خُذُوهُ! وَلْيَنْجُ كُلُّ مِنْكُمْ بِنَفْسِهِ. حَاكُمُ اللَّهُ!»

وَأَذْرَكَ الْجَمِيعُ أَنَّ الْبَحَّارَةَ يَهْجُرُونَ السَّفِينَةَ. أَمْسَكَ الزُّفَيْرُ الْمِفْتَاحَ وَفَكَ
السَّلَاسِلَ. ثُمَّ أَسْرَعْنَا نَصْعَدُ إِلَى سَطْحِ السَّفِينَةِ.

كَانَ الْوَقْتُ غَسَقًا. وَبَدَأَ حَوْلُ ذَلِكَ الْمَسَاءِ الشَّتَوِيَّ مُكْفَهَرًا عَاصِفًا، لَكِنَّا
نَسِيًا أَنَّا نَجِدُ صَوْبَ الْيَابِسَةِ. وَكَانَ ذَلِكَ يَعْنِي أَنَّ السَّفِينَةَ، مَذْهُوعَةٌ بِالرَّيَّاحِ
الْعَاصِفَةِ وَالْأَمْوَاحِ الْهَائِلَةِ. سَتَتَحَطَّمُ عِنْدَ ارْتِبَاطِهَا بِالْيَابِسَةِ شَرًّا تَحْطُمُ.

أَخَذْنَا، أَنَا وَالزُّفَيْرُ، ثُرَاقِيْبُ. وَفَجَاءَتْ انْتَفَاضُنَا مَعًا، فَقَدْ بَدَتْ مَعَالِمُ
الشَّاطِئِ الْبَيْضَةِ، وَأَذْرَكُنَا أَنَّا مُقْبِلُونَ عَلَى الْإِضْطِدَامِ بِخَيْجٍ قَرِينَا مَوْتَقِيتٍ.

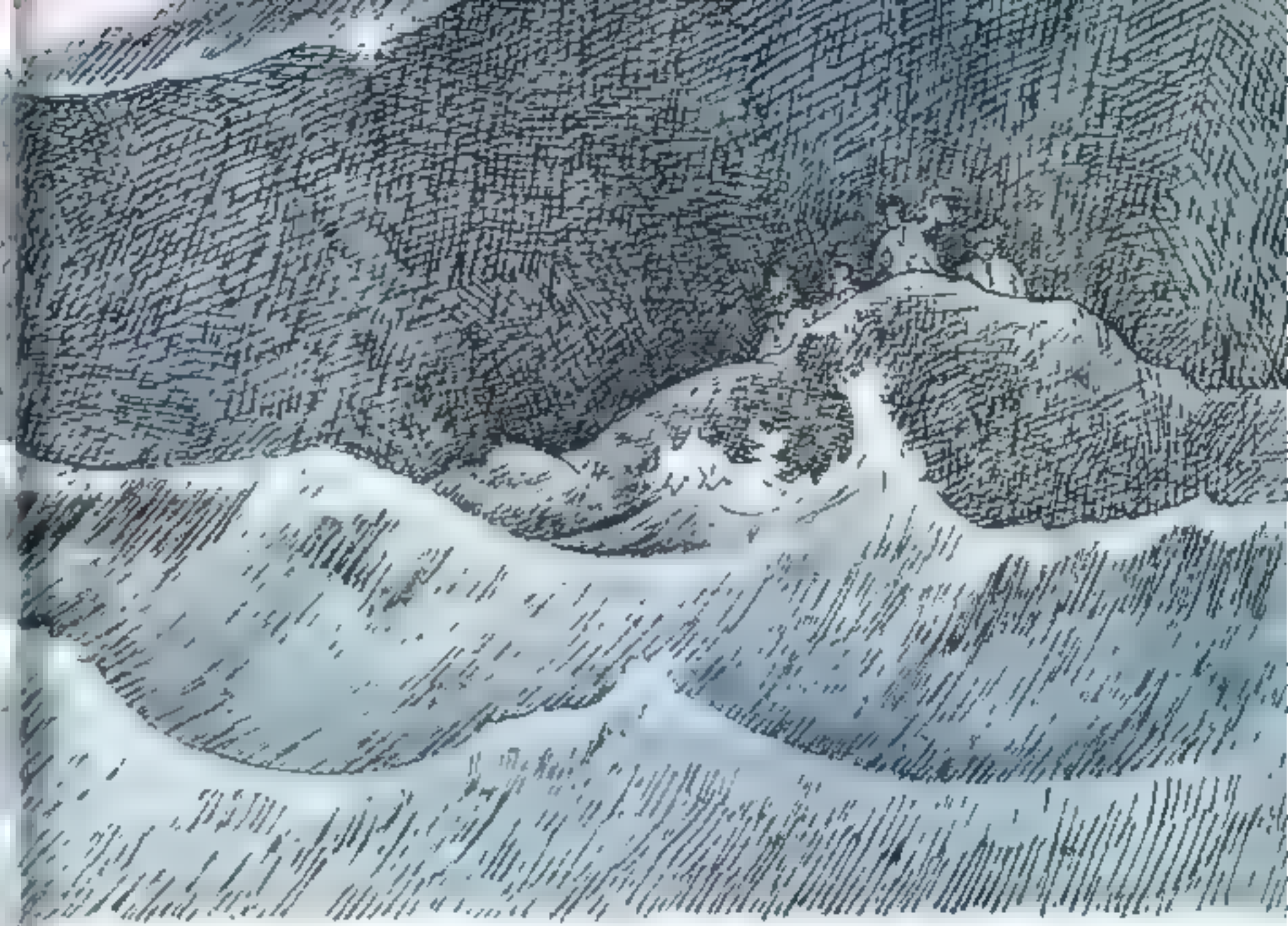




عشر سنواتٍ حافظتُ فيها غريسَ على وَعْدِهَا ، لكنَّ أَيْقَدَّرَ لَنَا أَنْ نَصِلَ
الشَّاطِئَ سَالِمِينَ ؟

إِزْدَدْنَا اقْتِرَابًا مِنَ الشَّاطِئِ فَتَعَاطَمَ الْهَدِيرُ . وَأَحِيرَ ضُطَّطَتِ السَّفِينَةُ
بِأَرْضِ الشَّاطِئِ ، وَلَنْ تَلْبَثَ الْأَمْوَاجُ وَالرَّيَّاحُ وَالصُّخُورُ أَنْ تَمَرِّقَهَا تَمَرِّقًا .

رَأَيْنَا قُرُوبِي مَوْفِيتٍ قَدْ أَقْبَلُوا ، كَعَادَتِهِمْ ، لِإِنْقَازِ مَنْ يَقْدِرُونَ عَلَى
إِنْقَادِهِمْ ، وَلَا أَخَذَ مَا نَحْرَفُهُ الْأَمْوَاحُ مِنْ خُطَامِ السَّفِينَةِ



صَاحَ الزُّفَيْرُ فِي السُّجَّاءِ الْآخَرِينَ قَائِلًا إِنَّهُ يَعْرِفُ الْمَكَانَ مَعْرُوفَةً نَامَةً .
وَلَيْسَ أَمَامَهُمْ إِلَّا فُرْصَةٌ وَحِيدَةٌ لِنَجَاةٍ . إِنَّ عَلَيْهِمْ ، عِنْدَ وَصُولِ السَّفِينَةِ إِلَى
الشَّاطِئِ ، أَنْ يَرْمُوا بِأَنْفُسِهِمْ فِي الْمَاءِ ، وَيَشْقُوا طَرِيقَهُمْ بَيْنَ الْأَمْوَاحِ
وَلَتِيَّارَاتِ النُّحْرَةِ ، إِلَى أَنْ يَصِلُوا إِلَى الْبَابَةِ . وَقَالَ إِنَّ التَّرْوَلَ الْآنَ فِي قَوَارِبِ
النَّجَاةِ هُوَ الْهَلَاكُ بَعِيْنُهُ .

لَمْ يُصَدِّقِ الْكَثِيرُونَ مِنَ السُّجَّاءِ كَلَامَ الزُّفَيْرِ . وَكَانَ أُنْ انتَبَهُمُ النُّحْرُ فِي
تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْمُرِيعَةِ .

وَمَعَ اقْتِرَابَنَا مِنَ الشَّاطِئِ سَمِعْتُ صَوْتَ الزُّفَيْرِ يَصِيحُ وَسَطَ الْعَاصِفَةِ :
« أَنْظُرُوا ! فَوْقَ التَّنَّةِ ضَوْءٌ ! إِنَّهَا شَمْعَةُ ابْنَةِ مَاسْكِيو . »

حَدَّثَ الْمُخَضَّةُ الَّتِي عِنْدَ أَنْ نَبْذُلَ فِيهَا مَا أُوتِينَا مِنْ قُوَّةٍ لِإِنْقَاذِ أَنْفُسِنَا.
صَاحَ الزَّقْفِيرُ: «عَلَيْكَ أَنْ نَنْدَفِعَ بَعْدَ ارْتِدَادِ الْمَوْحَةِ الْكَبِيرَةِ التَّالِيَةِ
إِقْفِزُوا عِنْدَمَا أَقْبُو لَكُمْ». وَحَاوِلُوا أَنْ تَعْمُوا أَقْصَى مَا تَسْتَطِيعُونَ فَوْقَ زَيْدِ
الْمَوْجِ. سَيُنْقَوْنَ إِلَيْنَا طَرَفَ حَبْلِ لِنَتَمَسَّكَ بِهِ. الْآنَ. إِلَى الدُّعَاءِ يَا جُون.
وَلْيَكُنِ اللَّهُ مَعَنَا جَمِيعًا!»



وَقَعْتُ فِي قَفْزَتِي عَلَى يَدَيَّ وَرِجَّتِي . لَكِنِّي وَجَدْتُ الْمَاءَ أَقْلَ مِنْ الْمِثْرِ
عُمُقًا . جَاهَدْتُ جِهَادًا مُسْتَمِيتًا لِأَقْتَرِبَ مَا أُمَكِّنِي مِنَ الشَّاطِئِ . قَبْلَ وُصُولِ
الْمَوْجَةِ النَّالِيَةِ . كَذَلِكَ لَمَحْتُ سِلْسِلَةً مِنَ الرُّجَالِ يَنْدَفِعُونَ مَعًا نَاحِيَةَ
الشَّاطِئِ . مُحَاوِلِينَ . بِأَقْصَى مَا يَسْتَطِيعُونَ مِنْ قُوَّةٍ . الْوُصُولَ إِلَى طَرَفِ حَبْلِ
الْقِي فِي الْبَحْرِ لِمُسَاعَدَتِنَا .

أَمْسَكَ الزَّفِيرَ الْحَبْلَ بِيَدِهِ الْبُسْرَى . وَمَدَّ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَيَّ . وَتَلَامَسَتْ
أَصَابِعُ . لَكِنِّي فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ دَفَعَنِي تَبَارُ مَائِي إِلَى الْوَرَاءِ مَسَافَةً ثَلَاثِينَ مِثْرًا .
وَوَجَدْتُ نَفْسِي بَيْنَ حُطَامِ السَّفِينَةِ الْمُتَلَاطِمِ .

عِنْدَئِذٍ قَامَ الزَّفِيرُ بِعَمَلٍ مُذْهِبٍ . فَقَدْ أَفْتَتَ حَبْلَ الْخَلَاصِ الَّذِي كَانَ
يُمْسِكُ بِهِ . وَخَوَّضَ الْبَحْرَ عَائِدًا إِلَيَّ . وَأَمْسَكَنِي مِنْ يَدَيَّ وَشَدَّنِي . وَأَعَادَتُ
إِلَيَّ قُوَّتَهُ وَشَجَاعَتَهُ الْأَمَلَ . بَعْدَ أَنْ كِدْتُ أَتَجَمَّدُ بَرْدًا . وَأَسْقُطُ إِعْيَاءً
فَرِيسَةً لِلْأَمْوَاجِ .

سَمِعْنَا الْمَوْجَةَ النَّالِيَةَ مُقْبِلَةً عَلَيْنَا فَسَعَيْنَا لِلْوُصُولِ إِلَى الْحَبْلِ بِمَا بَقِيَ لَنَا
مِنْ طَاقَةٍ . وَتَمَكَّنْتُ أَنَا مِنَ الْإِمْسَاكِ بِهِ بَعْدَ أَنْ دَفَعَنِي الزَّفِيرُ إِلَيْهِ دَفْعَةً خَارِقَةً
مُسْتَمِيتَةً . لَكِنِّي فُرِصَتُهُ هُوَ فِي النُّجَاةِ كَانَتْ قَدْ ضَاعَتْ . وَأَعْطَى حَيَاتَهُ إِنْقَاذًا
لِحَيَاتِي .

أَذْهَلَ الْقَرَوِيِّينَ أَنْ يَتِمَكَّنَ حَتَّى شَخْصٌ وَاحِدٌ مِنَ النُّجَاةِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ
الرَّهِيْبَةِ . لَكِنِ الَّذِي أَذْهَلَهُمْ أَكْثَرَ أَنْ يَكُونَ النَّاَجِي الْوَحِيدُ هُوَ أَنَا حَوْنِ
تَرْنَشَرْدَ ، ابْنِ قَرَيْتِهِمُ .



عَامَلَنِي أَهْلُ الْقَرْيَةِ بِعُطْفٍ وَمَحَبَّةٍ . وَقَدَّمُوا لِي سَرِيرًا فِي الْوَابِئِطِ . وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الْتَمَّيْتُ إِلَى الشَّصِيِّ لَدَيْكَ كَأَنَّمُغْطَى بِحُطَمِ السَّفِينَةِ . وَهَنَاكَ رَأَيْتُ جَسَدَ صَدِيقِي الْأَرْقَرِ وَقَدْ أَعَدَّتْهُ الْأَمْوَاجُ .

حَمَلُ الْقَرَوِيَّاتِ جُثْمَانِ الْأَرْقَرِ إِلَى الْوَابِئِطِ . وَسَجَّوْهُ عَلَى الطَّائِلَةِ عَيْنِهَا الَّتِي كَانَتْ قَدْ سَحَّتْ عَلَيْهَا جُثْمَانُ ابْنِ جِيْمَسَ .

لَمْ يَكُنْ عِنْدِي مِنْ مَكَانٍ أَذْهَبُ إِلَيْهِ . فَبَقِيتُ فِي الْبُزْرِ أُنْكِي صَدِيقِي . وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَطْرُقُ بِرَأْسِي حَزِيئًا سَمِعْتُ وَقَعَ خُطُوتِ خَفِيفَةٍ آتِيَةٍ مِنْ خَارِجِ الْقَاعَةِ . رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ أَمَامِي شَابَةً حَسَنَاءَ شَاحِبَةً الْوَجْهَ .

قَالَتْ : « جُونُ ، أَلَيْسَ عِنْدَكَ مَا تَقُولُهُ لِي ؟ أُنْسِيْتَنِي ؟ أَلَيْسَ لِي أَنْ أُشَارِكَكَ أَحْزَانَكَ ؟ »

أَمْسَكْتُ يَدَهَا وَرَفَعْتُهَا إِلَى شَفَتِي أَقْبَلْتُهَا . وَقُلْتُ :

« أَيُّهَا الْغَالِيَةُ . مَا نَسِيتُكَ . أَنْتِ حُبُّ النَّاسِ إِلَى قَلْبِي . لَكِنْ لَيْسَ لِي أَنْ أُحَدِّثَكَ عَنِ الْحُبِّ . فَحُضْنُ لَسْتُ كَمَا كُنَّا صَعِيرَيْنِ حَالِمَيْنِ . أَنْتِ الْيَوْمَ سَيِّدَةٌ نَبِيلَةٌ وَنَا مُتَشَرَّدٌ بَائِسٌ . »

ثُمَّ حَدَّثْتُهَا كَيْفَ أَنِّي قَضَيْتُ فِي السَّجْرِ عَشْرَ سَوَاتٍ . وَأَرَيْتُهَا آثَارَ الْحَدِيدِ فِي مِعْصَمِي وَالْوَسْمَ عَلَى وَجْهِتِي .

أَجَابَتْ غَرِيسَ أَنَّهَا لَا تَكْتَرِثُ لِشُرُوءِهِ . وَأَنَّهَا تَعْرِفُ أَنِّي تَرِي . أَمَّا عَنِ الْوَسْمِ فَبِهَا تَعْتَبِرُ ذَلِكَ عَلَامَةً تَرَكَّهَا الْمُوْهُونَ فِي وَجْهِتِي لِأَنِّي لَمْ أَصْدَعْ بِأَمْرِهِمْ . قَالَتْ ذَلِكَ وَمَضَتْ .

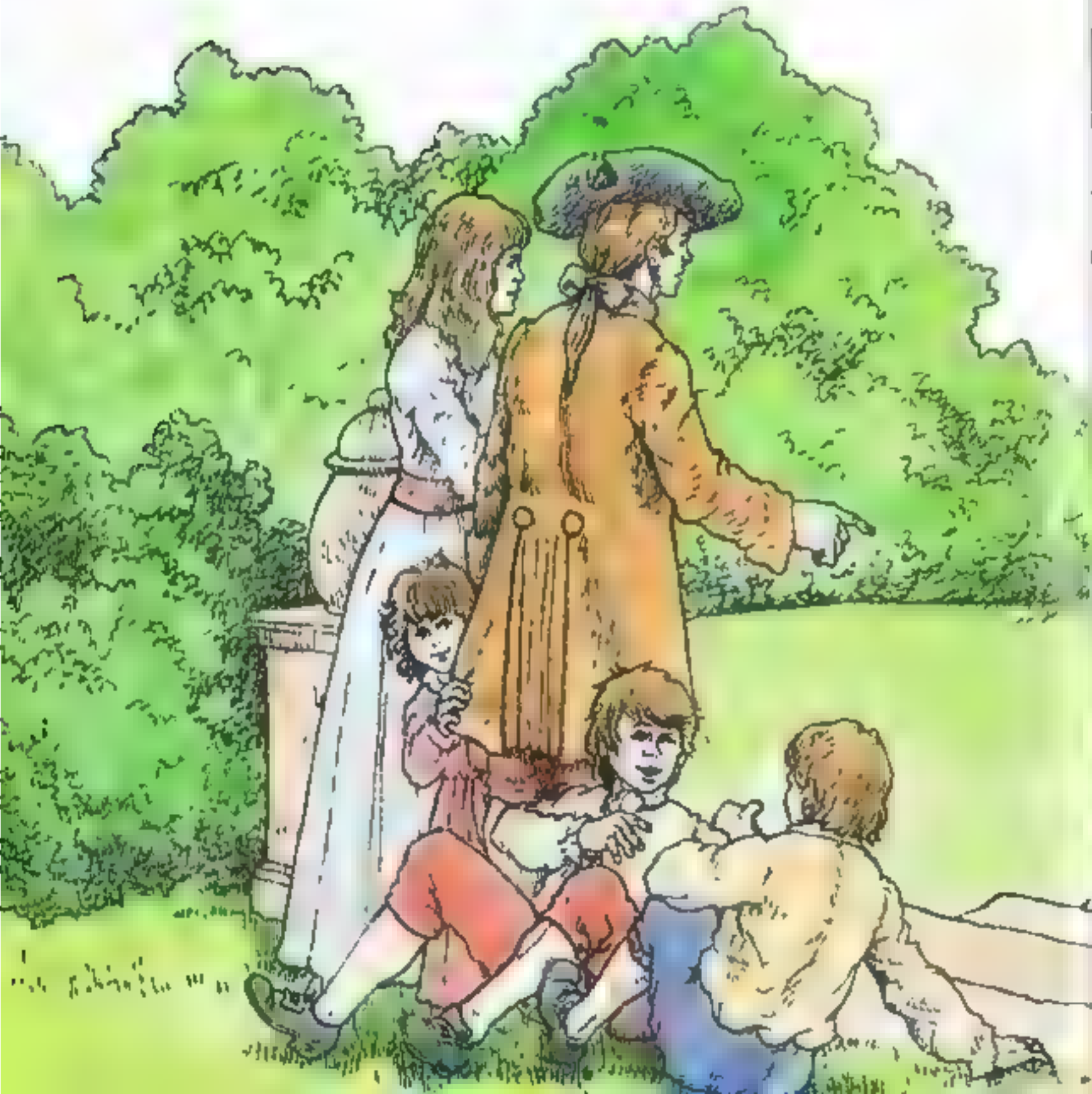
وحاءني الكاهنُ عليَّ يُعزِّي . وحملَ إليَّ أبايَ أَطهرتُ أنْ قدري لم
يَكُنْ في القَدَمَةِ الَّتِي كُنْتُ أَتَصَوَّرُهَا . فلقد كُنتُ عَرِيسَ كَلَمَتِ مُحَامِيَا
لإظهار براءتي وبراءة الرُقير . وقد نَحَحَ المُحامي في مَسْعَاهُ ، فلمْ أَعُدْ هَارًا
من وَجْهِ العَدَالَةِ .

يُضافُ إلى ذَلِكَ أَنَّ رِسَالَةً كَانَتْ قَدْ وَصَلَتْ من مُحامي تاجر
المُجوهراتِ الَّذِي تَسَبَّبَ في إِدْخَالِنَا السَّجْنَ .

فقد باتَ التَّاجِرُ ، بَعْدَ سَتَيْنِ من إِدَانَتِنَا والحُكْمِ عَلَيْنَا ، مُقْتِنِعًا أَنَّ
الْخَوْهَرَةَ لمْ تَحُلْ لَهُ إِلَّا سُوءَ الطَّاعِ والمرَضِ فَقَرَّ . لِذَلِكَ أَنِ يُعَوِّضَ
عَلَيْنَا . وَأَوْصَى لي بِأَمْوَالِهِ كُلِّهَا ، ولمْ يَعْشْ طَوِيلًا بَعْدَ تِلْكَ الوَصِيَّةِ .

كَانَ اللَّيْلُ قَدْ انْتَصَفَ عِنْدَمَا تَوَقَّفَ الكاهنُ عَلَيَّ عَنِ الْكَلَامِ وتركني
أَبْكِي صَدِيقِي ، لِكَيْهُ بَعَثَ في الأَمَلِ بِحَيَاةٍ جَدِيدَةٍ .

سارتُ أُمُورِي كُلُّهَا بَعْدَ ذَلِكَ سَيْرًا حَسَنًا . تَزَوَّجْتُ عَرِيسَ وَرَقْمَا
صَيِّسَ وَتَا وَأَسْمَيْتُ أَحَدَ الصَّيِّينِ الرُّقِيرَ إِحْيَاءَ لِدُكْرَى صَدِيقِي الَّذِي
مَاتَ من أَجْلِي . وَسَعَيْتُ دَائِمًا لِإِحْقَاقِ الْحَقِّ ، وَاسْتَعْمَلْتُ الدِّينَ ، وَفَقَّ مَا
نَمَنَى الكُولُونِيلُ موهون في آخِرِ حَيَاتِهِ . فَأَعَدْتُ بِنَاءَ بُيُوتِ الْفُقَرَاءِ ، وَسَاعَدْتُ
الْمُحْتَاحِينَ . وَرَمَّمْتُ الْقَصْرَ .



يَرْقُدُ الْآنَ رَأْسِي وَالكَاهِنُ عَلَنِي إِلَى حِوَارِ قَبْرِ الزُّقْفِيرِ لَذِي نُقِشَ عَلَى
شَهِيدِهِ مَا يَأْتِي . «الْحَوْذُ بِالرُّوحِ أَسْمَى غَايَةِ الْجُودِ» .

وَلَقَدْ أُتِيحَ لِي نَعْدَ ذَلِكَ أَنْ أَحْمِلَ الْحَبْلَ أَنَا أَيْضًا . وَأَنْزِلَ فِي نَعْصِ
النَّبَايِ الْعَصِيفَةِ . لِأَسَاعِدَ فِي إِنْقَاذِ إِنْسَانٍ يُجَاهِدُ لِيُصَوِّرَ إِلَى الشَّاطِئِ . لَكِنِّي
لَمْ أَرَ قَطُّ إِنْسَانًا يَنْجُو فِي لَيْلَةٍ رَهِيْبَةٍ كَتِلْكَ اللَّيْلَةِ الَّتِي قَدَّمَ فِيهَا الزُّقْفِيرُ حَيَاتَهُ
لِيُنْقِذَنِي .





جون ميند فوكنر

وُلِدَ جون ميند فوكنر في الثامن من أيار (مايو) سنة ١٨٥٨ في قرية «مانينغفورد بروس» بمقاطعة «ولتشاير» في جنوب إنكلترا. هو الابن الأكبر للقيس توماس ألكسندر فوكنر والسيدة إليزابيث غريس ميند. لا يُعرف عن طفولته المبكرة غير أنه قضى قسماً منها في منطقة «دورست» وهي المنطقة التي استوحى منها، فيما بعد، الإطار المكاني لروايته «مونفلت». أرسل، في الثالثة عشرة من عمره، إلى مدرسة في مدينة «مارلبورو»، وانتقل من هناك إلى جامعة «أوكسفورد» حيث درس التاريخ.

عندما غادر «أوكسفورد» ذهب إلى «نيوكاسل» وعمل مُدرّساً خاصاً لأولاد أندرو نوبل، وهو من أصحاب شركة هامة لصناعة الأسلحة. ثم أصبح السكرتير الخاص للسيد نوبل، وبعد ذلك أميناً عاماً لمجلس إدارة الشركة. تزوج، سنة ١٨٩٩، من حفيدة مؤسس الشركة، ولما توفي أندرو نوبل أصبح فوكنر رئيساً لمجلس الإدارة. وقد تطلب منه مركزه هذا السفر مراراً إلى خارج بلاده، وخصوصاً في الفترة التي سبقت نشوب الحرب العالمية الأولى، وحاز عدّة أوسمة من بلدان مختلفة.

هناك جانب آخر في حياة فوكنر غير عالم الأعمال: فلقد كان شديد الاهتمام بالكتب والمكتبات، ونال وساماً من البابا لمساعدته مكتبة الفاتيكان. وبعد انتقاله إلى

مَدِينَةُ «دورهام» عَيْنَ أَمِينًا فَخْرِيًّا لِمَكْتَبَتِهَا الْعَامَّةِ. كَتَبَ فوكْزِرُ فِي التَّارِيخِ فِي وَصْفِ
مُقَاطَعَاتِ وَمُدُنِ جَنُوبِ إِنْكَلْتَرَا، وَنَظَّمَ الشُّعْرَ، وَأَلَّفَ الرُّوَايَاتِ.

نُشِرَتْ أُولَى رِوَايَاتِهِ «الْكَمَانُ الضَّائِعُ» سَنَةَ ١٨٩٥، وَهِيَ قِصَّةُ أَشْبَاحٍ مُرْعِبَةٍ،
وظَهَرَتْ سَنَةَ ١٩٠٣ رِوَايَةُ «الْمِعْطَفِ الْغَامِضِ»، وَهِيَ قِصَّةُ بُولِيسِيَّةٍ تَعْكِسُ ااهْتِمَامَ فوكْزِرِ
بِالْمُوسِيقَى وَعِلْمِ الْأَنْسَابِ. وَبَيْنَ هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ، أَلَّفَ «مُونْفِلِت»، وَهِيَ أَشْهُرُ رِوَايَاتِهِ
وَأَوْسَعُهَا شَعْبِيَّةً.

بَعْدَ أَنْ تَقَاعَدَ فوكْزِرُ مِنَ الْعَمَلِ فِي صِنَاعَةِ الْأَسْلِحَةِ ظَلَّ فِي مَدِينَةِ «دورهام» إِلَى أَنْ
تُوفِيَ سَنَةَ ١٩٣٢ عَنْ أَرْبَعَةِ وَسَبْعِينَ عَامًا.



كتب الفراشة - القصص العالمية

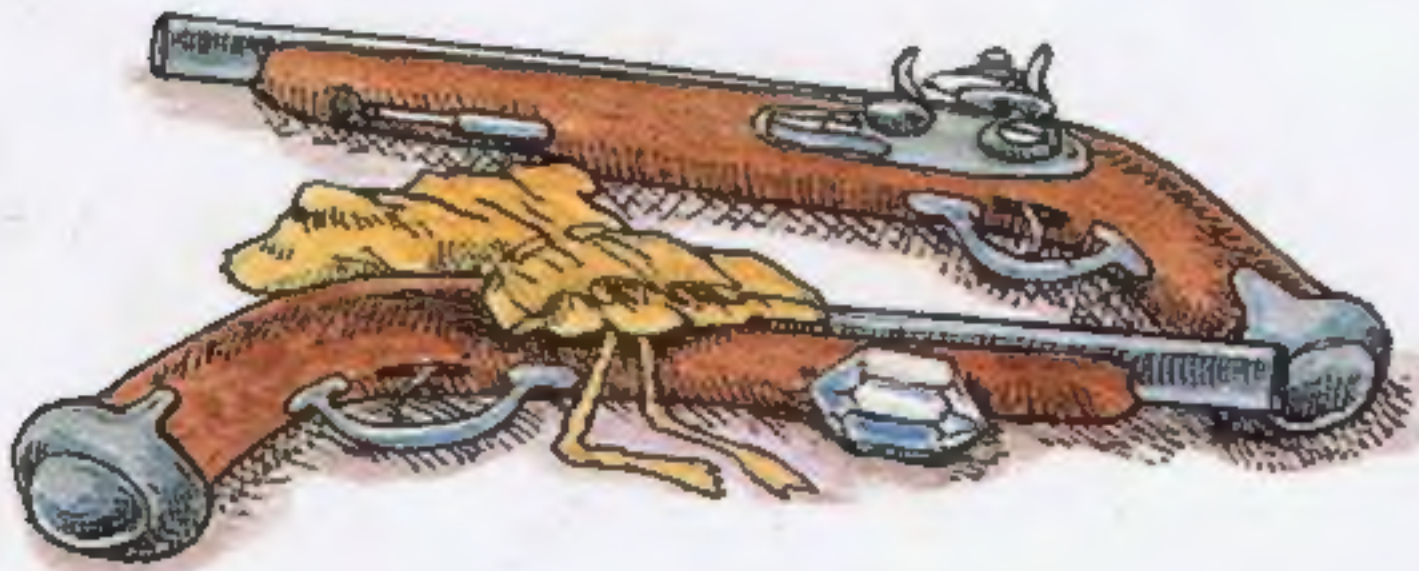
- | | |
|-----------------------------|--------------------|
| ١ - الدكتور جيكل ومستر هايد | ٧ - شبح باشكزفيل |
| ٢ - أوليفر ثويست | ٨ - قصة مدينتين |
| ٣ - نداء البراري | ٩ - مونفليت |
| ٤ - موبى دك | ١٠ - الشباب |
| ٥ - البحار | ١١ - عودة المواطن |
| ٦ - المخطوف | ١٢ - الفندق الكبير |



كتب الفراشة

القِصص العالمية ٩. مُونُفليت

اخْتَارَت مَكْتَبَةُ لِبْنَانِ نَاشِرُونَ أَرْوَعَ الْقِصَصِ الْعَالَمِيَّةِ ، وَنَقَلَتْهَا إِلَى الْعَرَبِيَّةِ مُبَسَّطَةً ، مُرَاعِيَةً الْأَمَانَةَ فِي النُّقْلِ وَالْمُحَافَظَةَ عَلَى جَزَائِلِ الْأُسْلُوبِ الْعَرَبِيِّ وَبِلَاغَتِهِ ، مَعَ تَشْكِيلٍ كَامِلٍ وَضَبْطٍ دَقِيقٍ . وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى هَذِهِ السَّلْسَلَةِ خُبْرَاءُ دَائِرَتِي النُّشْرِ وَالْمَعَاجِمِ فِي مَكْتَبَةِ لِبْنَانِ نَاشِرُونَ حَتَّى تُوفِّرَ لِلْقَارِئِ الْعَرَبِيِّ إِنتَاجًا فِكْرِيًّا مُتَفَوِّقًا مَظْهَرًا وَمَضْمُونًا .



مَكْتَبَةُ لِبْنَانِ نَاشِرُونَ



01C196B09